

لجنة إحياء التراث

القصص الحق

لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم

السلسلة الرابعة

جمع وشرح فضيلة الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب النيدى

شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

إشراف فضيلة الشيخ

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

جمعية شاعر الرسول ﷺ الخيرية الإسلامية بطنطا

لجنة إحياء التراث

القصص الحق

لسيد الخلق ﷺ

الجزء الرابع

جمعها وشرحها شاعر النبي ﷺ

الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب

أشرف على طبعه

محمود محمد خليل الخطيب

شيخ الطريقة الخطيبية الشاذلية

بجمهورية مصر العربية

١٤٣١هـ - ٢٠٠٩م

القصة الصادقة ، والعظة البالغة، والبلاغة المعجزة

القصص الحق لسيد الخلق ﷺ

جمعها وشرحها شاعر النبي ﷺ

فضيلة الإمام الشيخ

محمد خليل الخطيب النيدي

****

رسول الله شاعرُك الخطيبُ　　له في جاهك الأمل الرحيبُ
ولن يشقى وأنت له حبيبُ　　وفيك له من الشعر اليتيمُ
إليكَ أُهْدي أجَلَّ الرُّسْلِ قاطبَةً　　خمسينَ نِيديَّةً نُصْحاً لأُمَّتكَا
غرَّاءَ مشْرقَةً ، سَرَّاءَ ذاكِرَةً　　سَبيلَ مَنْ فاز في الدَّارَيْنِ أوْ هَلَكَا
منكمْ إليكمْ ، وأرْجو أن تَقبَّلَها　　من شاعرِ الْحَضرَةِ الغراءِ حَضْرَتكَا
وشِعرهُ ما تعدَّاكُمْ وعِتْرَتَكُمْ　　فَاشْفَعْ له ولمنْ يهواه أوْ تَرَكَا

(الخطيب)

١٤١ - الدجال وقتل عيسى عليه السلام له بالشام

عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ(١) فَخَفَّضَ فيه، وَرَفَّعَ(٢) حَتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ(٣)، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْه عَرَفَ ذَلكَ فينَا(٤) فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فيه، وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ(٥)، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ

---

(١) الغداة: الضحوة وهي مؤنثة. قال ابن الأنباري: ولم يسمع تذكيرها ، ولو حملها حامل على معنى أول النهار جاز له التذكير، والغدوة ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، وجمع الغدوة غُدى، هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان ومنه قوله ﷺ: واغد يا أنيس . أي انطلق.

(٢) " فخفض فيه ورفع " قال النووي وفي معناه قولان:

الأول: أن خفض بمعنى حقّر، وقوله رفّع أي: عظم شأنه وفتنته. قال النووي: فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى: عَوَرُهُ ومنه قوله ﷺ: " هو أهون على الله من ذلك" وأنه لا يقدر على قتل أحد إلاّ ذلك الرجل ثم يعجز عنه وأنه يضمحل أمره وَيُقْتَل بعد ذلك هو وأتباعه، ومن تفخيمه وتعظيمه: فتنته والمحنة به وهذه الأمور الخارقة للعادة، وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه.

الثاني: وأنه خفض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد.

(٣) طائفة النخل: ناحيته وجانبه.

(٤) عرف ذلك فينا: رأى أثر الحزن علينا من فتنة الدجال.

(٥) أخاف عليكم من غيره أكثر. قال ابن العربي المالكي: إنما خاف عليهم ﷺ غير الدجال لأنه أقرب إليهم خاصة، وإلا فلا فتنة أعظم من فتنة الدجال، لكن القريب المتيقّنُ بالوقوع فيه أشد خوفا من البعيد وإن كان أشد.

فَأَنَا حَجِيجُهُ(١) دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِه(٢) وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ(٣) عَيْنُهُ طَافِئَةٌ(٤) كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ(٥)، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ(٦)، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً(٧) بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً(٨)، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا(٩)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ

---

(١) الحجيج: المحاجج، وهو المجادل والمخاصم الذي يطلب الحجة، وهي الدليل.

(٢) قال صاحب التاج: إن ظهر وأنا فيكم فإني أحاججه وأبطل أمره وحدي وإن ظهر ولست فيكم فكل شخص يدافع عن نفسه والله معكم .

(٣) قطط: بفتح القاف، والطاء: أي شديد جعودة الشعر مُباعِدٌ للجعودة المحبوبة.

(٤) قال النووي: رويت بالهمز وتركه، وكلاهما صحيح فالمهموز طافئة: هي التي ذهب نورها، وغير المهموز طافية: نتأت وطفت مرتفعة وفيها ضوء.

(٥) عبد العزى بن قطن: هو رجل من خزاعة مات في الجاهلية.

(٦) وفي رواية " فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جوازكم من فتنته ". وهن عشر آيات كما ورد في فضل سورة الكهف: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال.

(٧) قوله ﷺ: " إنه خارج خلة " قال القاضي عياض: المشهور فيه حلة بالحاء وبنصب التاء يعني بغير تنوين، قيل معناه سَمْتُ ذلك وقبالته، وفي كتاب العين: الحلة موضعٌ حَزْنٌ وصخور، قال: ورواه بعضهم بضم اللام وبهاء الضمير: أي حلوله ونزوله. وذكره الهروي خلة بالخاء وتشديد اللام، وفسره بأنه ما بين البلدين.

(٨) العيث: الفساد، أو أشد الفساد والإسراع فيه يعني في كل بلد يدخله إلا المدينة، إذا جاءها رجفت فخرج إليه كل منافق، ونزلت الملائكة بأنقابها تحرسها.

(٩) يا عباد الله فاثبتوا: هذا من كلام النبي ﷺ تثبيتا للخلق .

كَسَنَة وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَة[١]، وَسَائِرُ أَيَّامه كَأَيَّامكُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه فَذَلكَ الْيَوْمُ الَّذي كَسَنَة أَتَكْفينَا فيه صَلاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: لا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ[٢]. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: كَالْغَيْث اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ[٣] فَيَأْتي عَلَى الْقَوْمِ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمنُونَ به وَيَسْتَجيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ[٤]

---

(١) قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله ﷺ وسائر أيامه كأيامكم.

(٢) قوله ﷺ: " اقدروا له " هو حكم لخصوص ذلك اليوم شَرَعه لنا صاحب الشرع ﷺ. قال العلماء: ولولا هذا الحديث وَوُكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

ومعنى اقدروا له قدره، أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينه وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سَنَة فرائض كلها مؤداة في وقتها، واليوم الثاني الذي هو كالشهر والثالث الذي كجمعة قياس على اليوم الأول.

اعتراض: إن قيل في هذا الحديث الذي يتضمن كون اليوم كالجمعة والشهر، والسنة، فيه إبطال للهيئة وإفساد للصبغة، وتغير للتكوين الذي به قامت الخليقة، وجرت الأرزاق في الأقوات، وإطراد وجود النبات والثمرات، ومرت الطبائع على طرائقها في الحيوانات قلنا: إتئدوا فإنكم نظرتم إلى جريان اليوم في المخلوقات، وأغفلتم النظر في قدرة الخالق، وماله من حكم في المصنوعات.

(٣) كسرعة المطر بالريح الشديدة .

(٤) تروح: معناه ترجع آخر النهار، والسارحة هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المراعي .

أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا[١] وَأَسْبَغَهُ[٢] ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ[٣] لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ[٤]، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ[٥] رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ- عليه السلام- فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[٦]، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا

---

(١) الذرى: الأعالي والأسنمة وهي جمع ذروة بضم الذال. أي ترجع تلك الماشية أعالي الأسنمة وأحسن مما كانت .

(٢) قوله " وأسبغه " أي أطوله لكثرة اللبن.

(٣) الممحل: الذي قد أجدبت أرضه، وقحطت، وغلت أسعاره.

(٤) قوله ﷺ : " كيعاسيب النحل " هي ذكور النحل، كذا فسره ابن قتيبة، وقال عياض: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته، قال المناوي: وهذا يقتضي أن يكون كيعاسيب النحل من صفة الكنوز التي كاليعاسب، أو حالا من الكنوز، أي كائنة كاليعاسب، وهو كأنه من شرعه باتباعها له، وقال بعضهم أن يكون كيعاسيب النحل من صفة الدجال، أي: يتبع الدجال كنوز الأرض كما يتبع اليعسوب النحل وهو بعيد.

(٥) قوله ﷺ " فيقطعه جزلتين " أي قطعتين، ومعنى رمية الغرض: أي يجعل بين القطعتين مقدار رمية. قال القاضي عياض: وعندي فيه تقدم وتأخير تقديره، فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين .

(٦) قوله ﷺ " بين مهرودتين " معناه لابس مهردوتين أي ثوبين مصبوغين بورس، ثم زعفران، وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة .

طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ(١)، كَاللُّؤْلُؤِ(٢)، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ(٣)، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ(٤)، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لا يَدَانِ(٥)، لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ(٦)، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ(٧) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ

(١) الجمان: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء والحسن.

(٢) أي يترل عيسى عليه السلام في غاية النظافة كالذي خرج من حمام يقطر الماء من رأسه وينحدر منه كحبات اللؤلؤ .

(٣) لُد: بلدة قريبة من بيت المقدس.

(٤) فيمسح عن وجوههم ما عليها من أثر الجهاد ضد الدجال.

(٥) يدان بكسر النون تثنية يد. أي: لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم.

(٦) فحرز عبادي إلى الطور: أي ضمهم إليه واجعله لهم حرزا، قال صاحب التاج: أي حصِّن هؤلاء المؤمنين بجبل الطور فإنه قد ظهر عباد لي لا يقدر عليهم أحد من الخلق وهم يأجوج ومأجوج .

(٧) اختلف العلماء في معنى يأجوج ومأجوج ، فقال البعض أنهما اسمان أعجميان، وقيل إنهما عربيان مشتقان من أجَّت النار أجيجا إذا التهبت وقيل من الأجة وهي الاختلاط وشدة الحر، وقيل من الأج وهو سرعة العدو. وقيل من الأُجاج وهو الماء الشديد الملوحة، وجميع ما ذكر من اشتقاقات مناسب لحالهم، واختلفت الأقوال في أصلهم، فقيل: إنهم من بني آدم ثم بني يافث بن نوح، وقيل: إنهم من الترك، وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الديلم، وعن كعب: أنهم من ولد آدم من غير حواء وذلك أن آدم نام فاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق منها يأجوج ومأجوج. وقال ابن حجر: ولم نر هذا عن أحد من السلف – إلا عن كعب الأحبار ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح.

يَنْسلُونَ[١]، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ[٢]، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ[٣] لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ[٤] فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ[٥] فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[٦] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ[٧]، فَلا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ[٨]، وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[٩]، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ[١٠] وَلا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا

---

(١) الأنبياء آية رقم ٩٦، قال ابن الأثير: الحدب بالتحريك ما ارتفع وغلظ من الظهر وقد يكون في الصدر. والنسل: الإسراع. يريد يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها. وقال النووي: الحدب: النشز، وينسلون: يمشون مسرعين.

(٢) طبرية: مدينة بالشام .

(٣) قال المناوي: الظاهر أن هذا إشارة إلى شدة حال عيسى عليه السلام وأصحابه واحتياجهم يومئذ إلى المأكول.

(٤) فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه: يضرعون إلى الله تعالى أن يهلك يأجوج ومأجوج .

(٥) النَّغَف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم الواحدة نغفة.

(٦) فرسى : جمع فريس كقتلى وقتيل .

(٧) أي يهبطون من جبل الطور الذي كانوا يتحصنون به.

(٨) زهمهم ونتنهم: دسمهم وروائحتهم الكريهة .

(٩) البخت بضم الخاء: هو نوع من الإبل الْخُراسانية، الواحد بُخْتي.

(١٠) المدر: هو الطين الصلب، والمعنى لا تحفظ منه الخيام ولا البناء .

كَالزَّلَقَةِ(١) ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ(٢) مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا(٣)، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ(٤) حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ(٥) مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ(٦) مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ(٧) مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ(٨). فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ

---

(١) الزلقة: اختلفوا في معناه فقال ابن عباس كالمرآة في صفائها ونظافتها وقيل معناه كصانع الماء أي أن الماء يستنقع فيها حتى تصير الأرض كالمصنع، وقيل كالصفحة، وقيل كالروضة. والمعنى : فيرسل الله مطراً شديداً لا تحفظ منه الخيام ولا البناء فيغسل الأرض حتى تصير كالمرآة .

(٢) العصابة: الجماعة .

(٣) قحفها: قال ابن الأثير هو قشرها تشبيها بقحف الرأس الذي فوق الدماغ .

(٤) الرسل بكسر الراء وإسكان السين هو اللبن. أي لبن الإبل التي ترسل للمرعى.

(٥) اللقحة بكسر اللام وفتحها: القريبة العهد بالولادة . وهي ذوات الألبان من الإبل.

(٦) الفئام: بكسر الفاء الجماعة الكثيرة. القبيلة من الناس.

(٧) الفخذ: الجماعة من الأقارب وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة، قال القاضي: قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء ولا غير، لا يقال إلا بإسكانها بخلاف الفخذ الذي هو العضو فإنها تكسر وتسكن.

(٨) الهَرْجُ: الجماع. من هَرَجَ زوجته أي جامعها. أي يجامع الرجال النساء بمحضرة من الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك . وهؤلاء هم الأشرار وعليهم تقوم الساعة. نسأل الله السلامة. والمراد بالتهارج: الاختلاف والاختلاط.

السَّاعَةُ. رواه مسلم والترمذي وأبو داود[١].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وسامعه حديث رقم ٢٩٣٧ ، عارضة الأحوذي كتاب الفتن باب ما جاء في فتنة الدجال حديث رقم ٢٢٤٧ ج ٥ صـ٧٩ ، سنن أبي داود – كتاب الملاحم – باب خروج الدجال حديث رقم ٤٣٢١ .

ويؤخذ من الحديث الشريف:

- حرص الرسول ﷺ على نجاة أمته ورحمته ورأفته بها في حياته وبعد مماته.
- فضل قراءة الآيات العشر من أول سورة الكهف وعصمتها لقارئها من المسيخ الدجال.
- مشروعية الاجتهاد وتقدير الأوقات في العبادات.
- الدعوة إلى الاعتصام بحبل الله المتين وعدم الافتتان بالمسيخ الدجال .
- الإيمان بنزول عيسى عليه السلام قبل البعث وقتله المسيخ الدجال، ودعائه على يأجوج ومأجوج بالهلاك .
- وجوب الاعتقاد بما أطلع الله تعالى عليه نبيه ﷺ من الغيب وثبت إخباره به في صحيح الحديث الشريف .

١٤٢ – نزول عيسى عليه السلام [١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عيسى عليه السلام نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ[٢] بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ[٣] كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ[٤] فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلا الإِسْلامَ[٥] وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ (ثم تَقَعُ الأَمَنَةُ عَلَى الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الأُسُودُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ[٦]، وَتَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ)[٧] فَيَمْكُثُ عيسى فِي

---

(١) الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء :

أ – الرد على اليهود في زعمهم أهم قتلوه فبين الله تعالى كذهم وأنه الذي يقتلهم.

ب – قيل إن نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها.

ج – قيل أنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب لمن دعاه وأبقاه حتى يترل في آخر الزمان مجددا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله، ورجح ابن حجر الأول.

(٢) لونه أبيض مشرب بحمرة وجسمه وسط بين الطول والعرض.

(٣) ممصرتين : عليه ثوبان فيهما صفرة فالممصر من الثياب ما فيه صفرة خفيفة كما سبق في تفسير بين مهرودتين.

(٤) كناية عن تمام النظافة والنضارة .

(٥) فيبطل اليهودية والنصرانية وأُولي عبادة الأوثان ويدعو إلى الإسلام.

(٦) فيصطلح المتعاديان في زمنه لامتلائه بالخير والعدل والأمن والإيمان .

(٧) ما بين القوسين للإمام أحمد .

الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ .

رواه أبو داود والحاكم والإمام أحمد [(١)].

وقال عبد الله بن سلام ﷺ : مكتوب في التوراة صفة محمد، وصفة عيسى بن مريم – صلى الله عليهما وسلم –، ويدفن عيسى مع محمد ﷺ .

رواه الترمذي بسند صحيح[(٢)].

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، حديث رقم ٤٣٢٤ –المستدرك- مسند أحمد ج ٢ صـ٤٠٦.

(٢) تحفة الأحوذي ج٥ص٣١٥، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج٥ص٣٦٠.

وما جاء في الحديث الشريف من نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وقتله الدجال هو عقيدة أهل السنة سلفاً وخلفاً ، ولا ينافي ذلك أن شريعة الإسلام مؤبدة إلى يوم القيامة؛ لأن عيسى عليه السلام لا يترل بشرع ينسخ شريعة الإسلام بل سيحكم بها ويحيي ما هجره الناس منها.

ويقول شيخنا الخطيب في عقيدته وهي عقيدة أهل السنة والجماعة :

نزول عيسى قرب يوم البعث ... وقتله الدجال أهل الخبث

وقبله يجيئنا المهدي ... كم منه إكرام وكم مهدي

مبايعاً كرهاً أمام البيت ... وإنه من خير آل البيت

يأجوج مأجوج طلوع الشمس ... غرباً وجم الفسق فسق الرأس

١٤٣ - لا يثقل مع اسم الله شيء

عن عَبْد اللّه بْن عَمْرو بْن الْعَاصِ - رضي الله عنهما - عن النبي صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قال : " إنّ اللّهَ سَيُخَلّصُ رَجُلا منْ أُمّتي[١] عَلَى رُءوسِ الْخَلائـق يوْمَ الْقيَامَة فَيَنْشرُ[٢] عَلَيْه تسْعَةً وَتسْعينَ سجلاً كُلُّ سجل مثْلُ مَدِّ الْبَصَر، ثُمَّ يَقُولُ الله: أَتُنْكرُ منْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتي الْحَافظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فيقولُ: لا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إنّ لَكَ عنْدَنَا حَسَنَةً، فَإنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيوْمَ. فَتُخْرَجُ بطَاقَةٌ[٣] فيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلا اللّهُ وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذه الْبطَاقَةُ مَعَ هَذه السِّجلات. فَقَالَ: إنّكَ لا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجلاتُ. في كَفَّة وَالْبطَاقَةُ في كَفَّة فَطَاشَت السِّجلاتُ، وَثَقُلَت الْبطَاقَةُ[٤]، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللّهِ شَيْءٌ .

---

(١) سيخلص رجل من أمتي: أي سيوقفه على رءوس الأشهاد ، وفي المستدرك ومسند أحمد : يستخلصُ .

(٢) فينشر عليه : أي يعرض عليه صحائف كثيرة واسعة مملوءة بالسيئات ، والسجل: الكتاب الكبير .

(٣) البطاقة: رقعة صغيرة يكتب فيها مقدار ما يجعل فيها إن كان عيناً فوزنه وعدده، وإن كان متاعاً فقيمته . وقيل سميت بذلك لأنها تُشَدُّ بطاقة من هدب الثوب .

(٤) طاشت السجلات: أي خفت ، والطيش الخفة . قال صاحب التاج: خفت وذهبت سجلات السيئات وثقلت البطاقة بكلمة التوحيد . قال تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ الأعراف/من الآية ٨ . ولعل هذا في مذنب خاص كان يُخلِصُ في ذكر كلمة التوحيد؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله إلى جميع خلقه.

أخرجه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وصححه الحاكم[١].

(١) تحفة الأحوذي كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن رمى أخاً بالكفر ح رقم ٢٦٩٣ ج ٥ ص ٣١٥ ، سنن ابن ماجة رقم ٤٣٠٠ ، المستدرك ج ١ ص ٥٢٩.
وفي الحديث الشريف بيان فضل كلمة التوحيد ، وقد ذكر الشيخ ﷺ في إتحاف الأخيار أن من قالها سبعين ألف مرة فداه الله من النار، وفيه أن الله تعالى يغفر ما دون الشرك من المعاصي والذنوب بسبب الإخلاص في ذكر كلمة التوحيد.

وقال الإمام الخطيب ﷺ في ديوانه حكمة الرجز:

وكلمـــة الشـــهادة ... بـــاب إلى الســـعادة
بهـــا يَـــبين مـــن شـــكر ... ومـــن بربـــه كفـــر
لكـــل خـــير ثمـــن ... بهـــا الـــدماء تحقـــن
فبوركَـــتْ مِـــنْ لفظـــة ... مفتـــاح بـــاب الجنـــة

وقال الإمام الخطيب ﷺ في عقيدته وهي عقيدة أهل السنة والجماعة:

فرطـــب اللســـان بالشـــهادة ... فإنهـــا المجـــاز للســـعادة
وأقرب الطرق إلى الوصـــول ... للواحـــد المهـــيمن الجليـــل

١٤٤ - النفخ في الصور

عن عَبْد اللَّه بْن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال إلى أن قال: " ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلا أَصْغَى لِيتًا[١]، وَرَفَعَ لِيتًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ[٢] حَوْضَ إبله، فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ[٣]، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوِ الظِّلُّ[٤]، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ[٥] (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)[٦] ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ. فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)[٧] وَذَلِكَ (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)[٨].

---

(١) الليت بكسر اللام: صفحة العنق وهي جانبه. وأصغى: أمال. أي مات واسترخى رأسه.

(٢) يلوط حوض إبله: أي يُطَيِّنُهُ ويصلحه.

(٣) أي يموت أهل الدنيا وكل حيوان لشدة الفزع وهول الصوت .

(٤) أو للشك . قال النووي: قال العلماء الأصح الطل. قال الفيومي: الطل: المطر الخفيف ، ويقال أضعف المطر .

(٥) هلم أي تعالوا على لغة أهل الحجاز في ترك علامة الجمع من هلم .

(٦) سورة الصافات آية ٢٤ .

(٧) سورة المزمل آية ١٧ .

(٨) سورة القلم آية ٤٢ . يوم يكشف عن ساق: يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام، وقال النووي: قال العلماء معناه يوم يكشف عن شدة وهولٍ عظيمٍ أي يظهر ذلك، يقال كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت، وأصله أنَّ من جد في أمره كشف عن ساقه مستمرا في الخفة والنشاط له. قال ابن الأثير: الساق هو الأمر الشديد وكشف الساق مثلٌ في شدة الأمر ولا ساق هناك ولا كشف وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام بذلك الأمر العظيم.

رواه مسلم والنسائي[١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ[٢]. ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ[٣]. وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلا يَبْلَى إِلا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ[٤]. وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

رواه مسلم وأبو داود[٥]

(١) صحيح مسلم بشرح النووي -كتاب الفتن -باب خروج الدجال ومكثــه في الأرض حديث رقم ٢٩٤٠ ، سنن النسائي في كتاب التفسير حديث رقم ١١٦٢٩.

(٢) معناه: أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما أو سنة أو شهرا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة.

(٣) أي يعاد إنبات أجسام الموتى من عجب الذنب كما ينبت الزرع.

(٤) عجب الذنب :العظم اللطيف في أسفل الصلب، وهو رأس العصعص ، ويقال له عجم بالميم ، وهو أول ما يخلق من الآدمي ، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه ،وقد خص من بني آدم الذين لا يأكلهم التراب وهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فإن الله حرم على الأرض أجسادهم.

(٥) صحيح مسلم كتاب الفتن باب ما بين النفختين حديث رقم ٢٩٥٥- سنن أبي داود كتاب السنة — حديث رقم ٤٧٤٣ .

وما رواه الشيخان في تفسير أول سورة الحج يؤيد ما ذكر عن عدد أهل النـــار وأهل الجنة، لكن فيه التبشير لأمة الإسلام بقلة من يدخل النار من المســلمين في مقابل كثرة الكفار من غيرها من الأمم.

ويقول الإمام الخطيب في عقيدة أهل السنة والجماعة :

رجوع أهــل الأرض للفجــور ... ومنتــهاها نفخــة في الصــور

١٤٥ - قصة الحشر

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما- قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ خَطِيبًا بِمَوْعِظَة فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّه حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً[١] ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[٢]، أَلا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَة إِبْرَاهِيمُ عَلَيْه السَّلام، أَلا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ[٣]. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ[٤] فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ[٥]: (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٦] قَالَ: فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ.

---

(١) الحفا : المشي بغير نعل ولا خف - الغرل: جمع أغرل وهو الأقلف والغرلة ما يقطعه الختان والمراد أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء.

(٢) آية رقم (١٠٤) سورة الأنبياء.

(٣) وفي التاج أن أول من يكسى إبراهيم عليه السلام لأنه عري في ذات الله عندما ألقي في النار ، ومعنى يؤخذ بهم ذات الشمال أي يؤمر بهم إلى النار.

(٤) قال البغوي في شرح السنة: لم يرد به الردة عن الإسلام، إنما معناه التخلف عن بعض الحقوق الواجبة والتأخر عنها، والرجوع عما كان عليه من صدق العزيمة وكذلك قيد بقوله على أعقابهم، و لم يرتد بحمد الله تعالى أحد من أصحاب النبي وإنما ارتد قوم من حفاة العرب.

(٥) هو عيسى عليه السلام .

(٦) آية رقم (١١٧ ، ١١٨) سورة المائدة.

رواه البخاري ومسلم والترمذي (١).

عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها– أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ(٢). قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ (٣).

رواه البخاري ومسلم والنسائي(٤).

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم ٣٣٤٩ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة باب فناء الدنيا وبقاء الحشر حديث رقم ٢٨٦٠، تحفة الأحوذي كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحشر حديث رقم ٢٤٣١.

(٢) وفي الحديث الشريف ما يفيد جواز سؤال المعلم عما يُعَدُّ غريباً لدى المتعلم ، وأن هول يوم القيامة يقطع عن الإنسان كل رغبة إلا التطلع إلى النجاة من أن يؤخذ به إلى النار.

(٣) فالخلائق يحشرون في الآخرة لا شيء معهم ولم ينقص منهم شيء كقلفة وأصبع كانت قطعت في الدنيا بل يحشرون كما خلقوا عرايا ولا شيء معهم ، إلاَّ الأنبياء ومن قرب من درجتهم تكريماً لهم لقوله ﷺ : وإن أول من يكسى في الآخرة إبراهيم عليه السلام .

(٤) صحيح البخاري كتاب الرقاق حديث رقم ٦٥٢٧، صحيح مسلم كتاب صفة القيامة حديث رقم ٢٨٥٩ ، سنن النسائي جـ٤ صـ١١٥.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

وكل ما جاء عن المعتقد	في الذكر أو نقل الثقات اعتقد
مثل سؤال القبر والعذاب	والحشر والمعاد للحساب

١٤٦ – مساءلة الله لبعض عباده يوم القيامة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أهم قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ (١) فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ قَالُوا: لا. قَالَ فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا : لا. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا . قَالَ : فَيَلْقَى اللهُ الْعَبْدَ فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ(٢) : أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ(٣)، وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ(٤)

---

(١) هل تُضارُون: قال النووي: روى تضارون بتشديد الراء، والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد هل تُضارُّون من غيركم في حالة الرؤيا بزحمة، أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر، ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضير، وهو الضرر. وقال ابن الأثير: يروى بالتخفيف والتشديد بمعنى لايتخالفون، ويتجادلون في صحة النظر إليه لوضوحه وظهوره، يقال ضاره يضاره مثل ضره ويضره، وأراد بالمضارة: الاجتماع والازدحام عند النظر إليه. وأما بالتخفيف هو من الضير، والمعنى فيه كالأول أي ترون ربكم بكل راحة وسهولة .

(٢) قوله ﷺ " أي فل " قال النووي هو بضم الفاء وإسكان اللام ومعناه يا فلان، وهو ترخيم على خلاف القياس، وقيل هي لغة بمعنى فلان وقال ابن الأثير: فل ليس ترخيماً لفلان، لأنه لا يقال إلا بالسكون ولو كان ترخيماً لفتحوا اللام أو ضموها وبه قال سيبويه وقال: ليست ترخيماً، وإنما خيفة ارتجلت في باب النداء.

(٣) معنى أسودك: أجعلك سيداً على غيرك .

(٤) ترأس بفتح التاء وإسكان الراء معناه: رئيس القوم وكبيرهم. أي تركتك رئيساً على قومك.

وَتَرْبَعُ؟(١). فَيَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ لا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ(٢) كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ: لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ(٣). فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا(٤). ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ(٥).

---

(١) تربع بفتح التاء والباء، قال النووي: هكذا رواه الجمهور، وفي رواية ترتع، بالتاء ومعناه بالباء: تأخذ المرباع التي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة، وهو ربعها، ومعناه ألم أجعلك ربعياً مطاعاً. أو أن معناه تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى أحد من قولهم اربع على نفسك أي ارفق بها. ومعناه بالتاء تتنعم، وقيل: تأكل، وقيل تلهو، وقيل: تعيش في سعة.

(٢) قوله تعالى " أنساك كما نسيتني " أي: أمنعك من الرحمة كما امتنعت من طاعتي. ويأمر به إلى النار .

(٣) أي كما سأل الذين من قبله .

(٤) قوله " ها هنا إذاً " أي اثبت ها هنا أي مكانك حتى يشهد عليك جوارحك بعد أن أثنيت على نفسك وتعرف أعمالك .

(٥) قوله " وذلك ليعذر من نفسه: ليزيل عذره من قبل نفسه بشهادة أعضائه عليه بنفاقه " قال المناوي: هذا كقوله ﷺ (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم).

وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ (١).

رواه مسلم(٢).

---

(١) وذلك المنافق أي العبد الثالث هو المنافق والعبدان السابقان من الكافرين.

(٢) صحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ٢٩٦٨.

ويؤخذ من الحديث الشريف:

- ثبوت رؤية العبد لربه يوم القيامة .
- أهمية الإخلاص في العبادة وإرجاع الأمر كله لله .
- وجوب التفكر في آلاء الله والحرص على أداء شكرها .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

صـــراطه ميزانـــه والرؤيـــة ثابتة والحـــوض والشـــفاعة

١٤٧ - مساءلة أخرى

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ[١] فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ. يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ[٢]؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إلا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ[٣]. فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ[٤]: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ[٥]. فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا[٦] فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ[٧]. رواه مسلم[٨].

وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يُجَاءُ بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَجٌ[٩]. فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَعْطَيْتُكَ، وَخَوَّلْتُكَ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ[١٠]. فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ، وَثَمَّرْتُهُ فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ

---

(١) أظهر الفرح والسرور.

(٢) تحفظني منه وتعاملني بالعدل وهذا ما أضحك النبي ﷺ.

(٣) يختم على فيه: يغلق فمه فلا يقدر على النطق .

(٤) أركانه: أي جوارحه .

(٥) ثم يخلى بينه وبين الكلام ، أي: يؤذن له في الكلام والنطق بلسانه.

(٦) سحقاً: أي بعداً ومكاناً سحيقاً أي بعيداً ، ويجوز أن يكون بمعنى هلاكاً.

(٧) أناضل: أخاصم، وأجادل، وأدافع.

(٨) صحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ٢٩٦٩.

(٩) البذج بالباء والذال والجيم: ولد الضأن الصغير، وهو ضد البذخ بالخاء فإنه الفخر والتطاول.

(١٠) أوسعت عليك في النعم فصرت ذا مال وخدم وحشم .

به[١]. فَيَقُولُ لَهُ: أَرِنِي مَا قَدَّمْتَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ. فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْرًا فَيُمْضَى بِهِ إِلَى النَّارِ [٢].

رواه الترمذي [٣].

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ عَمَلِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ. رواه الترمذي[٤].

---

(١) أي أقدمه في مرضاتك.

(٢) فيظهر للناس أن الله وسع عليه في النعم ولم يشكره ولم يعمل ما يرضيه فيأمر به إلى النار، فاتضح مما سبق أن لكل إنسان سؤالاً خاصاً يناسبه زيادة على سؤاله عما يأتي في حديث أبي برزة الأسلمي .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في الزهد من حديث قتادة عن أنس رقم ٢٤٢٧ وإسناده ضعيف فيه إسماعيل بن مسلم قال الترمذي: يضعف في الحديث من قبل حفظه، وقال الحافظ إسماعيل بن مسلم المكي أبو إسحاق كان من البصرة ثم سكن مكة وكان فقيهاً ضعيف الحديث.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة رقم ٢٤٢٤ وإسناده فيه حسين بن قيس قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ حديث الحسين بن قيس . عارضة الأحوذي ج٥ ص١٩٤.
في الترغيب والترهيب ورد الحديث من رواية أبي بردة ﷺ وذكر في آخره: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ج٤ ص٣٩٦ بتحقيق مصطفى محمد عمارة.
وفي كتاب التاج ج ٥ ص ٣٧٣ أن الترمذي روى هذا الحديث وسابقه أولهما بسند غريب والثاني بسند صحيح .

ويفاد من الحديث الشريف : وجوب تسخير العمر والمال والجسم والعمل في وجوه الخير والبر حتى يكون ذلك سبيلاً للفوز بالجنة والنجاة من النار ، ومحاسبة الله لعباده يوم القيامة عما حباهم إياه وقاموا به .

١٤٨ - مِنْ صِفَة حَوْضِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَبِي سَلَّامٍ الْحَبَشِيِّ[١] - رضي الله عنه - قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَحُمِلْتُ عَلَى الْبَرِيدِ[٢] فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قلتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ رُكُوبُ الْبَرِيد. فَقَالَ: يَا أَبَا سَلامٍ مَا أَرَدْتُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ بَلَغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ فِي شأن الْحَوْضِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ تُشَافِهَنِي بِه[٣]. قَالَ أَبُو سَلامٍ: حَدَّثَنِي ثَوْبَانُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: حَوْضِي مِنْ عَدَنَ[٤] إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ[٥]، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكَاوِيبُهُ[٦] عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا

---

(١) اسمه ممطور، وهو شامي من ثقات التابعين - رضي الله عنهم - ويظهر من الحديث أنه كان كبيراً يشق عليه السفر.

(٢) البريد: أصله الدابة. والبريد: الرسول . ومنه قول العرب: الحمى بريد الموت، أي: رسوله . ثم استعمل في المسافة بين كل منزلتين من منازل الطريق. وفي مختار الصحاح اثنا عشر ميلاً.

(٣) تشافهني به : أي تسمعه لي مشافهة.

(٤) عدن بلد باليمن وقال ابن العربي عدن حاضرة اليمن وميناؤه .

(٥) عمان بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من الأرض البلقاء، وأما بضم العين والتخفيف فهو صقع عند البحرين.

وقال البكري في معجم ما استعجم: عمان على فعلان: قرية من عمل دمشق سميت بعمان ابن لوط عليه السلام فأما عمان التي هي قرضة البحر فمضمومة الأول مخففة الثاني، وهي مدينة معروفة من العروض، إليها ينسب العماني الراجز سميت بعمان بن سنان بن إبراهيم كان أول من اختطها. والبلقاء: إقليم بجنوب فلسطين بالشام . ويفاد من ذلك امتداد حوض النبي ﷺ واتساعه.

(٦) الأكاويب: جمع كوب، وهو الكوز الذي لا عروة له .

عَلَيْه فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الشُّعْثُ رُءُوسًا[(١)]. الدُّنْسُ ثِيَابًا[(٢)]. الَّذِينَ لا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ وَلا تُفْتَحُ لَهُمُ أبوابُ السُّدَد[(٣)]. قَالَ عُمَرُ: لَكِنِّي نَكَحْتُ الْمُتَنَعِّمَاتِ، وَفُتِحَ لِيَ السُّدَدُ، وَنَكَحْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْد الْمَلك. لا جَرَمَ أَنِّي لا أَغْسِلُ رَأْسِي حَتَّى يَشْعَثَ، وَلا أَغْسِلُ ثَوْبِي الَّذِي يَلِي جَسَدِي حَتَّى يَتَّسِخَ .
رواه الترمذي[(٤)].

---

(١) الشعث: جمع أشعث وهو المتفرق الشعر. قال الفيومي: شعث الشعر شعثاً فهو شعث: تغير، وتلبد لقلة تعهده بالدهن .

(٢) الدنس: الوسخ القذر .

(٣) السدد: الأبواب، أي: لا تفتح لهم الأبواب؛ لعدم الاكتراث بهم. ومنها أبواب الأمراء والحكام . وإنما كان هؤلاء الفقراء أول الناس وردوا لقلة حظهم من الدنيا، وفي هذا دعوة لعدم الاغترار بمظاهر الزينة والاهتمام بالتقوى والعمل الصالح.

(٤) تحفة الأحوذي كتاب صفة القيامة باب ما جاء في صفة أواني الحوض جـ ٥ صـ ٢٠٧ حديث رقم ٢٤٥٢.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضات الخطيب:

والنهر والحوض الـذي أكوابـه مثل النجوم الزهر في الأعداد
من تسقه يا ذا الندى جاز الصدى وجميعنا للشرب منـه صـواد

ويقول ﷺ فيي ديوانه بشرى العاشقين:

يا صاحب الحوض يوم الحشر أبيض من درٌ وأطيب من مسك لدى شمم[(١)]
كيزانه النجم ميزابان مـن عـدن مَدَّاهُ أَكْرِم بهذا السلسل الشَّبِمِ[(٢)]

---

(١) الدَّر: اللبن

(٢) الميزابان: تثنية ميزاب وهو مسيل الحوض ومسيل السطح – وعدن:الجنة.

عليــه أمتــك الغــراء واردة وغيرها ذيد ذَوْد الغُرب من نعم(١)
وذيد قوم إلى الإسلام قد نسبوا إذ أحدثوا فيه أحـداثاً بكفـرهم
وصاحب الحوض الكَثْرى فضائله أنقى من الرِّسل لذ الطير ذي النسم(٢)
أكوابه كالنجوم الزهر في عدد وحافتاه قصـور اللؤلـؤ اليـتم(٣)
در حصــاه ومســكى ثــراه وعطرى شذاه وما أحلاه في الطعم(٤)

(١) ذيد: طرد . والغرب : الغريب. والنعم: واحد الأنعام: المـال الراعيـة وأكثـر إطلاقه على الإبل.

(٢) الرِّسل : اللبن . ولذ : لذيذ .

(٣) حافاتاه: جانباه .

(٤) شذاه: رائحته .

١٤٩ – موت العصاة في النار

عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ"(١). أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَتهُمْ إِمَاتَةً(٢) حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَة، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ(٣) ضَبَائِرَ فَبُثُّوا(٤) عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّة ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّة أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّة تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ(٥) فَقَالَ بعضُ الحاضرين: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَة.

---

(١) قوله " ولكن ناس أصابتهم النار بذنوهم " قال النووي: معناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس، ويكون عذاهم على قدر ذنوهم ثم يميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحماً فيُحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ويلتوون على أهار الجنة، فيصب عليهم ماء الحياة فيحيون وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة نباها وضعفها، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية، ثم تشتد قوهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم، وتكمل أحوالهم.

فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه.

(٢) فأماتتهم: أي أماتتهم النار.

(٣) قوله " ضبائر ضبائر " أي جماعات متفرقة.

(٤) فبثوا: أي فُرِّقوا .

(٥) أي يفيض أهل الجنة عليهم من ماء الجنة فيحيون: والحبة بكسر الحاء هي بذور البقول والرياحين، وحميل السيل: ما يحمله ويلقيه على شط مجرى السيل فإن كان فيه حبة فإنها تنب سريعاً وكذلك عودة الأجسام بعد الإحراق.

رواه مسلم والترمذي[١].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان حديث رقم ١٨٥ .

وفي الحديث من الفوائد:

١ — إثبات الشفاعة

٢ — إخرج الموحدين من النار

٣ — الظاهر من الحديث أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها، ويستريحون معها كما قال تعالى: ﴿ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ سورة فاطر آية ٣٦ .

وكما قال ﴿ ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى ﴾ سورة الأعلى آية ١٣ . وهذا جار على مذهب أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم.

٤ — بلاغته ﷺ ودقة وصفه للأشياء مما يراه القوم في حياقم .

١٥٠ – قصة أسواق[١] الجنة

عَنْ سَعيد بْنِ الْمُسَيَّب ﷺ أَنَّهُ لَقيَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ فَقَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْني وَبَيْنَكَ في سُوق الْجَنَّة. فَقَالَ سَعيدٌ: أَفيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ أَخْبَرَني رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّة إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فيهَا بفَضْلِ أَعْمَالهمْ[٢] ثُمَّ يُؤْذَنُ في مقْدَار يَوْم الْجُمُعَة منْ أَيَّام الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ[٣] وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ في رَوْضَة منْ رِيَاض الْجَنَّة[٤]، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابرُ منْ نُور وَمَنَابرُ منْ لُؤْلُؤ وَمَنَابرُ منْ يَاقُوت وَمَنَابرُ منْ زَبَرْجَد وَمَنَابرُ منْ ذَهَب وَمَنَابرُ منْ فضَّة وَيَجْلسُ أَدْنَاهُمْ وَمَا فيهِمْ منْ دَنيء عَلَى كُثْبَان الْمسْك وَالْكَافُور، وَمَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسيِّ بأَفْضَلَ منْهُمْ مَجْلسًا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ هَلْ تَتَمَارَوْنَ[٥] في رُؤْيَة الشَّمْس وَالْقَمَر لَيْلَةَ الْبَدْر؟ قُلْنَا: لا. قَالَ: كَذَلكَ لا تُمَارَوْنَ في رُؤْيَة رَبِّكُمْ وَلا يَبْقَى في ذَلكَ الْمَجْلس رَجُلٌ إلا حَاضَرَهُ[٦] اللَّهُ مُحَاضَرَةً حَتَّى يَقُولَ للرَّجُل منْهُمْ: يَا فُلانُ بْنَ فُلان أَتَذْكُرُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟

---

(١) السوق: يذكر ويؤنث – وهو أفصح – مجمع الناس لتبادل المصالح بينهم. وسوق الجنة: اجتماع أهلها في مكان وقد حفت بهم الملائكة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يتجلى عليهم ربهم ويكرمهم بمؤانسته ثم يأخذون ما يشتهون بلا شراء ويرجعون بغاية الحسن والجمال.

(٢) أخذوا منازلهم ودرجاتهم بأعمالهم أمَّا دخول الجنة فبفضل الله تعالى .

(٣) يأذن الله لهم بزيارته كل جمعة أي بعد مرور زمن كالأسبوع وإلاَّ فلا ليل في الجنة.

(٤) يكشف الحجب عنهم حتى يروه جل شأنه .

(٥) تتمارون : أي تشكُّون.

(٦) حاضره : من الحصر وهو الإحاطة الخاصة ، أي حادثه في أمره فقط وما قدمه في دنياه. ويروى حاضره أي كلمه بحيث لا يسمع الكلام من هو حاضر.

فَيُذَكِّرُه ببَعْضِ غَدَّارَته[١] في الدُّنْيَا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لي؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَبِسَعَة مَغْفِرَتي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذه. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلكَ غَشِيَتْهُمْ[٢] سَحَابَةٌ منْ فَوْقِهِمْ فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طيبًا لَمْ يَجدُوا مثْلَ رِيحه شَيْئًا قَطُّ. وَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ منَ الْكَرَامَة فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ. فَنَأْتي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ به الْمَلائكَةُ لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مثْله وَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوب فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا لَيْسَ يُبَاعُ فيهَا وَلا يُشْتَرَى[٣]، وَفي ذَلكَ السُّوق يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّة بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ: فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَة الْمُرْتَفعَة فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ – وَمَا فيهِمْ من دَنيء– فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْه منَ اللِّبَاس،[٤] فَمَا يَنْقَضي آخرُ حَديثه حَتَّى يَتَخَيَّلَ إِلَيْه مَا هُوَ أَحْسَنُ منْهُ، وَذَلكَ أَنَّهُ لا يَنْبَغي لأَحَد أَنْ يَحْزَنَ فيهَا[٥]. ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلنَا فَيَلْقَانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلْنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً لَقَدْ جئْتَ وَإِنَّ بكَ منَ الْجَمَال أَفْضَلَ ممَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْه. فَيَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَبِحَقِّنَا أَنْ نَنْقَلبَ بِمثْلِ مَا انْقَلَبْنَا[٦].

---

(١) الغدر : نقض العهد .

(٢) الغشاء: الغطاء وهو اسم من غَشَّيتُ الشيء إذا غطيته .

(٣) ليس في السوق بيع ولا شراء بل من أحب شيئاً أخذه .

(٤) قوله " فيروعه ما عليه من اللباس " أي يعجبه حسنه .

(٥) أي قبل نهاية حديثهما يظهر للرجل الأقل مكانة أن عليه ملابس أفخر من ملابس ذي المترلة الرفيعة فيمتلئ فرحاً ولا يحزن .

(٦) أي جالسنا اليوم ربنا الجبار الذي يجبر كسر عباده ويرفع من شأنهم فيحق لنا أن نعود لكم بجمال باهر. والحديث في إسناده عبد الحميد بن أبي العشرين فقد وثقه أحمد وأبو حاتم الرازي وأبو زرعة الرازي وقال: ثقة حديثه مستقيم وهو من المعدودين في أصحاب الأوزاعي، ووثقه أيضاً هشام بن عمار والدار قطني، وقال ابن معين والعجيلي لا بأس به. وقال البخاري: ربما يخالفه في بعض حديثه. وقال الحافظ: صدوق.

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أن رَسُولَ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ قال: إنّ فِي الْجَنّةِ لَسُوقًا مَا فِيهَا شِرَاءٌ وَلا بَيْعٌ إلا الصُّوَرَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا(١).

رواهما الترمذي بسندين غريبين (٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ أَنّ رَسُولَ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ قَالَ: إنّ فِي الْجَنّة لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ(٣). فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ(٤). فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ

(١) قال المناوي: في معنى الحديث تأويلان:
أحدهما: أنه أراد بالصورة التي اختارها الإنسان ما يكون عليه من التزين واللبس
وثانيهما: أنه أراد بالصورة التي تميل الشخص من الصور المستحسنة فإذا اشتهى المرء صورة منها غيره الله تعالي بها وبدله بصورته فتتغير الهيئة والذات فيه كما كان.
قال صاحب التاج: وكذا إذا اشتهت المرأة صورة كانت فيها ، فيظهر من هذا أن نساء الدنيا يحضرن هذا السوق، وهل يحضرن مجلس ربهن فيرونه ويحادثهن؛ الظاهر نعم لعموم النصوص، وفضل الله واسع، ولعلهن ينصرفن قبل الرجال لقوله السابق : فيلقانا أزواجنا. فيكون ذلك أدعى وأقوى للشوق والمحبة . نسأل الله كامل محبته آمين.

(٢) تحفة الأحوذي كتاب صفة الجنة باب ما جاء في سوق الجنة حديث رقم ٢٥٥٨، ٢٥٥٩ جـ٥ صـ٢٥٣، ٢٥٤ .

(٣) معنى" يأتونها كل جمعة " أي كل مقدار جمعة أي أسبوع وليس هناك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل .

(٤) ريح الشمال قال صاحب العين:هي الشمال والشمْأل بإسكان الميم مهموز وهي التي تأتي من دبر القبلة، وقال بعضهم وخص ريح الجنة بالشمال بأنها ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشمال، وبها يأتي سحاب المطر، وجاء في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة أي المحركة لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها.

وَثِيَابِهِمْ[١]. فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَد ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَد ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالا فَيَقُولُــونَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَد ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالا [٢].

رواه مسلم [٣].

---

(١) تنثر عليهم أنواع المطر وما تثيره من نعيم الجنة.

(٢) فتزداد المودة والمحبة بينهم أكثر من حالها بين العاشقين .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة باب في سوق الجنة حديث رقم ٢٨٣٣.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته :

والجنـــة الفيحـــاء في سمـــاه أعدها لكـــل مـــن يخشـــاه

١٥١- قصة الحبر مع النبي ﷺ

عن ثَوْبَانَ ﷺ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حَبْرٌ(١) مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا. فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلا تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُودٍ مَعَهُ(٢). فَقَالَ: سَلْ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ(٣). قَالَ فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ (٤).قَالَ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ. قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ(٥) حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ(٦). قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ

---

(١) الحبر: العالم والجمع أحبار.

(٢) فنكت رسول الله ﷺ بعود معه: معناه يخط بالعود في الأرض ويؤثر فيها، وهذا يفعله المفكر، وفي هذا دليل على جواز فعل مثل هذا، وأنه ليس عملاً مخلاً بالمروءة .

(٣) الجسر: المراد به هنا الصراط .

(٤) إجازة: أي جوازاً وعبوراً على الصراط .

(٥) التحفة: ما يهدي إلى الرجل ويخص به ويلاطف، وقال الحلبي: هي طُرَفُ الفاكهة.

(٦) النون: الحوت . أول ما يطعمونه في الجنة زيادة كبد الحوت وغذاؤهم بعده من ثور الجنة وشرابهم على ذلك من عين السلسبيل (التاج) .

الَّذي كَانَ يَأْكُلُ منْ أَطْرَافهَا. قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْه[١]؟ قَالَ: منْ عَيْنٍ فيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا. قَالَ: صَدَقْتَ. وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ منْ أَهْلِ الأَرْضِ إلا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلان. قَالَ: يَنْفَعُكَ إنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَد؟ قَالَ: مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَة أَصْفَرُ فَإذَا اجْتَمَعَا فَعَلا مَنيُّ[٢] الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَة أَذْكَرَا بِإذْنِ اللَّه[٣]. وَإذَا عَلا مَنيُّ الْمَرْأَة مَنيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإذْنِ اللَّه[٤]. قَالَ الْيَهُوديُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ. ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: لَقَدْ سَأَلَنِي عَنِ هَذا وَمَا لِي علْمٌ بِشَيْءٍ منْهُ حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِه [٥].

رواه مسلم [٦].

---

(١) أي ما غذائهم على أثر تلك التحفة وما شرابهم على ذلك الغذاء .

(٢) علا: سبق أو غلب .

(٣) قوله ﷺ " أذكرا بإذن الله " : كان الولد ذكراً .

(٤) قوله ﷺ " آنثا بإذن الله " : كان الولد أنثي .

(٥) أي حينما سأل اليهودي النبي ﷺ عن هذه المسائل الست لم يكن يعلمها فنزل عليه جبريل بها حال السؤال ليظهر صدق النبي ﷺ في دعوى النبوة والرسالة.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الحيض باب صفة مني الرجل والمرأة حديث رقم ٣١٥. التاج ج ٥ ص ٤١٩ .

١٥٢- ملاطفة الله لأهل الجنة

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: " إنَّ اللّهَ تعالى يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّة: يَا أَهْلَ الْجَنَّة. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ هَلْ رَضيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا منْ خَلْقكَ[1]. فَيَقُولُ: أَلا أُعْطيكُمْ أَفْضَلَ منْ ذَلكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي[2]. فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا " .

رواه الشيخان والترمذي [3].

---

(١) وهو النعيم الواسع في الجنة الخالدة الذي لم تعطه الكافرين .

(٢) أحل عليكم رضواني: قال القاضي عياض في مشارق الأنوار: أي أنزله عليكم. وقال صاحب التاج: أنزل عليكم نهاية رضائي أبد الآبدين، ولا شك أنهم يجدون لرضوانه لذة لا شيء يعدلها. كما يشعر أحد حاشية الملك برضاه عنه فيدوم عظيم سروره. ومعلوم أن السعادة الروحانية أفضل وأعلى من الجسمانية لدوامها بخلاف الجسمانية فإنها عند سببها فقط كالأكل والشراب والنكاح والسماع نسأل الله رضاه لنا ولجميع المسلمين آمين .

(٣) صحيح البخاري كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٥٤٩ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة باب إحلال الرضوان على أهل الجنة حديث رقم ٢٨٢٩ ، تحفة الأحوذي باب صفة الجنة رقم ٢٥٦٤ جـ٥ صـ٢٥٦. التاج الجامع للأصول ج٥ ص ٤٢٤ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكمة الرجز عن الجنة وما فيها من النعيم:

الجنة

إن الجنـــــان العاليــــه	لمـــن أجـــاب داعيـــه
عـــرض الســموات العـــلا	والأرضِ، دارُ مَـــن عـــلا
إن كــــان ذا فــــالطول	لا تـــــدرك العقـــــول
فيهـــا نعـــيم مـــا خطـــر	يومـــاً علـــى قلـــب بشـــر
دار النعـــــيم الـــــدائم	والفضـــــل والغنـــــائم
طيبـــــة الأرجـــــاء	واســـــعة الفضـــــاء
رائعـــــة الجمـــــال	فائقـــــة الجـــــلال
بهـــا الألـــذ الأنْفَـــسِ	ومـــا اشـــتهته الأنفـــس
فكـــم بهـــا مـــن فَـــرِحِ	ومـــــن ذَرٍ ومـــــرح
ومـــا بهـــا مـــن نصَـــب	يصـــيبهم أو وصـــب
شـــبابها بـــلا هـــرم	صـــحتها بـــلا ســـقم
وأهلـــها لا تطـــرد	وخيرهـــا لا ينفـــد
خلودهـــا بـــلا فنـــا	نعيمهـــا بـــلا عنـــا
كــــآدم في الخلقـــــة	ســـتون عـــرض ســـبعة
مكحلـــون جُـــرْدُ	وأبيضـــون مـــرد
وســـنهم أشـــد	ولـــيس فـــيهم حقـــد

* * * *

أشـــجارها مهدلـــه	قطوفهـــا مـــذلله
قصـــورها مشـــيده	طيورهـــا مغـــرده
وســـدرها مخضـــود	وطلحهـــا منضـــود
وظلـــها ممـــدود	وخمرهـــا محمـــود
وماؤهـــا مســـكوب	ومـــا بهـــا لُغـــوب

هواؤهـــــا عليـــــل وظلـــــها ظليـــــل
دائمـــــة المســـــرة مرفوعـــــة الأســـــرة
مصـــــفوفة النمـــــارق كـــــثيرة الأبـــــارق
شـــــراها الشـــــراب تحيـــــا بـــــه الشُّـــــرّاب
فمـــــا بـــــه صـــــداع ومالـــــه انقطـــــاع
يســـــقون مـــــن رحيـــــق مختومـــــةٍ عتيـــــقِ
مزاجـــــه التســـــنيم يحـــــيى بـــــه الســـــليم
ختامـــــه مســـــكيٌّ وطعمـــــه شـــــهي

الحور العين

وزوجـــــوا بعـــــين كـــــاللؤلؤ المكنـــــون
كواعـــــب أنجـــــاب وعـــــرب أتـــــراب
وضـــــيئة مطهـــــره ظريفـــــة معطـــــره
مقصـــــورة أبكـــــار مهمـــــا تكـــــن أســـــرار
وقاصـــــرات الطـــــرف وفائقـــــات الظـــــرف
يحـــــار مـــــن يراهـــــا ســـــبحان مـــــن براهـــــا
كلامهـــــا رخـــــيم وقـــــدّها قـــــويم
وشـــــعرها بهـــــيم وقـــــدرها عظـــــيم
كـــــثيرة الـــــوداد عديمـــــة العنـــــاد
بـــــاهرة الجمـــــال ظـــــاهرة الـــــدلال
زاهيـــــة الحلـــــيِّ في منظـــــر شـــــهي
بهيـــــة اللبـــــاس مســـــكية الأنفـــــاس
تحببـــــت إليكـــــا بالمشـــــتكي لـــــديكا
وكلمـــــا نظرتهـــــا لحســـــنها أكبرتهـــــا
رائقـــــة عينيكـــــا وطرفهـــــا عليكـــــا

أنهار الجنة

أنهارها من لبنٍ والماء غير آسن
ومن مصفى العسل ومن عُقار مثل[1]
مقامهم أمين الروض والعيون
تراهمو والملبس استبرق وسندس
في أصدق المقاعد عند المليك الماجد
مذ نزع الأضغانا تقابلوا إخوانا
تحت ظلال الشجر تمتعوا بالسمر
وما هم من خدمة بل رُفَّةٌ بالنعمة[2]
ويدخل الملائكْ وهم على الأرائكْ
يلقون بالسلام لأهلها الكرام
ونضرة النعيم في المنظر الوسيم
لهم وجوه مسفره ضاحكة مستبشره
فنعم عقبى الدار منازلُ الأبرار
وكم لهم مفاكهه في شُغُلٍ وفاكهه
والفرع بالأصل اجتمع إن كان إيمان جمع
كلوا هنيئاً واشربوا بما عملتم واطربوا
يُعْطَي أَقَلُّ أهلِها عشراً كهذي كلها
فما الذي يعطاه من علاّه[3] – جل – ذو المنن

(١) عقار: الخمر. مثل ومثيل: الفاضل. أي يضرب به المثل في تمام اللذة مع عدم غياب العقل أو فساد في أعضاء الجسم. وقد سبق قوله ﷺ في الأبيات :

شرابها الشراب يحيا به الشُّرَّابُ
فما به صداع وماله انقطاع

(٢) رُفَّه: يتنعمون برغد العيش وسعة الرزق والخصب الوفير. دار أمن وأمان لا صخب فيها ولا نصب ولا وصب .

(٣) من علاّه: من رفع الله درجته.

سلعة الله غالية

مـــــا لي أرى خُطَّابَهـــــا لم يطرقـــــوا أبوابهـــــا
تـــــأوهوا عليهـــــا ومـــــا ســـــعوا إليهـــــا
يـــــا خاطـــــب الحســـــناء دائمـــــة الســـــناء
قـــــدم لمـــــا يرضـــــيها إن كنـــــت مـــــن أهليهـــــا
مـــــن لم يَجُـــــد بنفســـــه لم يغتـــــنم بعرســـــه
قـــــد هُيِّئَـــــتْ للمتقـــــى إلهـــــهُ والمنفِـــــق
في فقـــــره وفي الغـــــنى ومـــــن عفـــــا عمـــــن جنـــــا
ومـــــن لغيظـــــه كظـــــم وفي عبـــــاده انـــــتظم
إن أصـــــغروا أو أكـــــبروا تـــــذكروا فاســـــتغفروا[1]
فـــــأيقظوا الظلامـــــا تهجـــــدا قيامـــــا
وأكثـــــروا الصـــــياما وأطعمـــــوا الطعامـــــا
وعمِّمـــــوا الســـــلاما ولينـــــوا الكلامـــــا
واتبعـــــوا الإمامـــــا وجـــــانبوا الآثامـــــا
تبلغـــــوا المرامـــــا وتُحْشَـــــروا كرامـــــا
وتـــــأمنوا الغرامـــــا وتربحـــــوا الســـــلاما
وتشـــــكروا الإنعامـــــا وتُفْرِحـــــوا السَّـــــلاما

(١) إن فعلوا الصغائر أو الكبائر .

١٥٣- من صفة النار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًامِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ. قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً[(١)] يا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا.

رواه الشيخان والترمذي [(٢)].

وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ [(٣)].

---

(١) قوله: " إن كانت لكافية " إن هذه هي المخففة من الثقيلة عند البصريين ، وهذه اللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة ، وهي عند الكوفيين بمعنى ما، واللام بمعنى إلا، والتقدير عندهم ما كانت إلا كافية، وعند البصريين إنها كانت كافية.

(٢) صحيح البخاري باب بدأ الخلق ج ص رقم ٣٢٦٥ . صحيح مسلم باب صفة جهنم رقم ٢٨٤٣ . سنن الترمذي باب صفة جهنم رقم ٢٥٨٩

ويستفاد من الحديث : أن نار الآخرة حرارتها أقوى من حرارة نار الدنيا بتسعة وستين مرة. قيل : إن جبريل حينما جاء بشرارة من النار لينتفع بها أهل الأرض غمسها في الماء تسعة وستين مرة لتخف حرارتها عليهم ، ولو غمسها مرة أخرى لطفئت فسبحان الخلاق العظيم .

(٣) ولفظ الترمذي : فأما نفسها في الشتاء فزمهرير أي برد شديد ، وأما نفسها في الصيف فسموم، أي: حر شديد. قال صاحب التاج: ففيه أن بعض التعذيب يكون بالبرد الشديد ولا غرابة منه فالنفس تتألم منه كالحر الشديد .

رواه الخمسة [١]. ولمسلم والترمذي[٢]. " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا " [٣].

وعنه قَالَ كُنَّا مَعَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً[٤]. فَقَالَ: تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا[٥]، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا "

رواه مسلم[٦].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رضي الله عنهما – عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً[٧] مِثْلَ هَذِهِ – وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ

---

(١) ينظر كشف المناهج والتناقيح ج ١ ص ٢٧٦ ، ج ٥ ص ٧٩ .

(٢) صحيح مسلم – صفة جهنم رقم ٢٨٤٢. سنن الترمذي . صفة جهنم رقم ٢٥٧٣ .

(٣) قال المناوي : إنه يجيء بها من المحل الذي خلقها الله فيه فبدأ بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط ، والزمام ما يزم به الشيء أي يشد ويرد ، وهذه الأزمّة التي تساق جهنم بها تمنع من خروجها على أهل المحشر ، ولا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت أن تأخذ من يشاء الله أخذه .

قال صاحب التاج: فإذا كانت جهنم وهي أخف طبقات النار تجر بسبعين ألف سلسلة يجر كل واحد منها سبعون ألف ملك فكيف بباقي الطبقات. نسأل الله السلامة منها آمين .

(٤) وجبة: سقطة عظيمة كسقوط شيء عظيم من عال .

(٥) والمراد بالخريف العام لا أحد فصوله الأربعة .

(٦) صحيح مسلم باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها ح ٤ .

(٧) " لو أن رضاضة " أي قطعة حجر مثل الجمجمة أي عظم الرأس رميت من السماء على الأرض لبلغتها في أقل من يوم وليلة ولو أنها أرسلت من رأس سلسلة من سلاسل النار ما بلغت قعرها في أربعين سنة.

الْجُمْجُمَة- أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسمِائَة سَنَة لَبَلَغَت الأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَة لَسَارَتْ أَرْبَعِين خَرِيفًا- اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ – قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَة حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَة حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةً حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ (١).

رواه الترمذي(٢).

عن أبي سعيد ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَسُرَادِقُ(٣) "النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ، كِثَفُ كُلِّ جِدَارٍ مِثْلُ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً "

رواه الترمذي(٤).

---

(١) أي فهي الآن سوداء مظلمة . قال المناوي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، ثم رواه موقوفاً على أبي هريرة قال: والموقوف أصح . ينظر كشف المناهج والتناقيح ج ١٥ ص ٨٣. سنن الترمذي حديث رقم ٢٥٩١.

(٢) سنن الترمذي باب صفة جهنم الأول بسند صحيح والثاني مسكوت عنه.

(٣) السرادق : كل ما أحاط بشيء من حائط أو خباء ، قال البغوي: يقال للحائط المشتمل على الشيء سرادق . قال صاحب التاج: فسرادق النار المذكور في قوله تعالى : ﴿ أحاط بهم سرادقها﴾ الكهف/ ٣٩. بناء عظيم جداً وهو أربعة جدر غلاظ كل منها مسيرة أربعين سنة

(٤) سنن الترمذي باب صفة جهنم رقم ٢٥٨٤.

وقال الإمام الخطيب ﷺ في عقيدته :

وأوقد النار لمن قد أجرموا وغيره مكانها لا يعلم

١٥٤ – بعض صفات أهل النار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ فِي النارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ " (١).

رواه الشيخان (٢).

وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ(٣). مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ "(٤).

رواه مسلم والترمذي(٥). ولفظه : إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ

---

(١) المنكب: مجتمع رأس العضد مع الكتف. وبين منكبه الأيمن والأيسر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع. أي يعظم جسم الكافر في النار حتى يكون كما ذكر إيلاماً له.

(٢) قال المناوي: الصواب أن هذا الحديث رواه الشيخان في صفة أهل النار من حديث فضل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة. وقد ذكر الحافظ عبد الحق فيما اتفق عليه الشيخان وأسقطه الحميدي من كتابه الذي جمع فيه بين الصحيحين فلم يذكره ، وعزاه ابن الأثير لمسلم خاصة . ينظر صحيح البخاري – باب صفة النار رقم ٦٥٥١ ، صحيح مسلم صفة النار رقم ٢٨٥٢ ، جامع الأصول لابن الأثير ج١ ص ٥٤٢ ، كشف المنهاج والتناقيح ج ٥ ص ٨٢.

(٣) يظهر أن (أو) للتنويع.

(٤) قال المناوي: هذا الحديث والذي قبله يدل كل منهما على عظم جثة الكافر، وإنما كان كذلك ليعظم عذابه ويتضاعف ، وهذا إنما هو في بعض الكفار بدليل أنه قد جاءت أحاديث أخر تدل على أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة: من كفر بالله وقتل الأنبياء وفتك في المسلمين وأفسد في الأرض ليس عذابه مساوياً لعذاب من كفر بالله فقط وقد كان يُحسن للأنبياء والمسلمين.

(٥) صحيح مسلم – صفة النار رقم ٢٨٥١. سنن الترمذي باب صفة جهنم رقم ٢٥٧٧.

ذِرَاعًا وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " إِنَّ الْكَافِرَ لَيُسْحَبُ لِسَانُهُ الْفَرْسَخَ وَالْفَرْسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ "(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَلْفَحُ وجُوهَهُمُ النارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ) (٢). قَالَ: تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ .

رواهما الترمذي(٣).

---

(١) الكافر في الموقف وفي النار يطول لسانه كالفرسخ والفرسخين يطؤه الناس بأقدامهم والمراد من هذا أن جسم الكافر يعظم في النار ليكون أبلغ في تعذيبه وآلامه، وهذا مقدور لله يجب الإيمان به لإخبار الصادق الأمين به ﷺ بل ورد أعظم من ذلك فللإمام أحمد: يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام.

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم ١٠٤ .

الكلوح من شوي النار: إنسلاخ الشفة العليا حتى تصل إلى وسط رأسه وانسلاخ الشفة السفلى حتى تصل إلى سرته فيكون منظره من أفظع المناظر.

(٣) سنن الترمذي صفة جهنم رقم ٢٥٨٠ .

وفي هذه الأحاديث ما فيها من الترهيب بمضاعفة عذاب الكافرين في النار كمًّا وكيفاً بكبر أجسامهم وشدة التنكيل بهم حتى يرتدعوا عن كفرهم ، وفيها دلالة على أنهم يتفاوتون في ذلك العذاب بحسب غيهم وضلالهم.

١٥٥- من أهوال أهل النار

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ[١] مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ[٢] لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ[٣] فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ[٤] فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ، فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بِكَلالِيبِ الْحَدِيدِ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ[٥] شَوَتْ وُجُوهَهُمْ فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ فَيَقُولُونَ: ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ[٦]. فَيَقُولُونَ: (أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالُوا: فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ)[٧]. قَالَ: فَيَقُولُونَ: ادْعُوا مَالِكًا. فَيَقُولُونَ: (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قَالَ:

---

(١) فيعدل: أي يساوي تعذيبهم في الشدة .

(٢) الضريع نبت بالحجاز له شوك كبار وقيل نوع من الشوك لا يرعاه حيوان لخبثه وهو المذكور في سورة الغاشية ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ * لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ الغاشية ٦، ٧.

(٣) الغصة: ما غص به الإنسان قال صاحب التاج: يغص به في الحلق فلا يترل ولا يخرج وهو المذكور في قوله تعالى ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴾ المزمل ١٢، ١٣.

(٤) يجيزون الغصص: أي يستعينون على زوال الغصة في الدنيا بشرب الماء.

(٥) أي دنت كلاليب الحديد بماء الحميم .

(٦) أي يقول بعضهم لبعض اطلبوا من خزنة جهنم أن يدعوا رهم أن يخفف عنكم.

(٧) أي لا فائدة فيه وهذا من قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ ﴾ غافر ٤٩، ٥٠ .

فَيُجِيبُهُمْ (إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)(١). قَالَ: فَيَقُولُونَ: ادْعُوا رَبَّكُمْ فَلا أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ. فَيَقُولُونَ: (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) قَالَ فَيُجِيبُهُمْ: (اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ)(٢). قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ.

رواه الترمذي (٣).

---

(١) سورة الزخرف الآية ٧٧ . قال الأعمش أحد رواة الحديث: نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام.

(٢) سورة المؤمنون الآيات ١٠٦ – ١٠٨ . قال صاحب التاج : قال لهم على لسان مالك خازن النار بعد مضي قدر الدنيا مرتين اخسئوا أي ابعدوا في النار إذلالاً ولا تكلمون في رفع العذاب أو تخفيفه فينقطع رجاؤهم فسبحان العزيز القهار.

(٣) قال المناوي: رواه الترمذي في صفة جهنم مرفوعاً عن أبي الدرداء ثم قال عبد الله ابن عبد الرحمن يعني شيخه والناس لا يرفعون هذا الحديث معنى بل يوقعونه على أبي الدرداء. قال أبو عيسى: وقطبة بن عبد العزيز رفعه وهو ثقة عند أهل الحديث. ولا يخفى أن الحديث الشريف مؤيد بما جاء في القرآن الكريم .
ينظر: كشف المناهج والتناقيح جـ٥ صـ٨٨.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكمة الرجز عن النار:

النار

أمـا عـذاب النـار — فغايـة الأشـرار
دار العـذاب الواصـب — والـذل والمصـايب
مغتاظـة الـزفير — مهتاجـة السـعير
وحرهـا شـديد — وقعرهـا بعيـد
بشـرر كالقصـر — مثـل الجمـال الصـفر
وإنهـا لمؤصـده — في عمـد ممـدده

طعامها ضريع ... وكم به صريع
والطلع من زقوم ... كهامة الرجيم
وريحها سموم ... وظلها يحموم
وماؤها كالمهل ... يشوي وجوه النزل
وبعضه صديد ... به الأذى الشديد
وبعضه غسلين ... من دونه الوزين

منها لهم وطاء ... فيها لهم غطاء[١]
في العنق الأغلال ... وفي اليد الأنكال
جلودهم إذ تؤكل ... في حينها تبدل
وإنها مذ لفحت ... وجوههم تكلحت
يقول مولانا لهم ... مستفظعاً أعمالهم
أأنتمو تعصوني ... ذوقوا عذاب الهون
لكفركم بالفرد ... ذوقوا عذاب الخلد
وكم لكم من قامع ... بأثقل المقامع
لو مسَّت الجبالا ... لأصبحت رمالا
من رام منها يطلع ... يلقى بها فيرجع
وسائل الممات ... من سائر الجهات
تأتي إليهم سرمدا ... ولن يموت أبداً

(١) الأرض التي يمشون عليها مهدت لهم منخفضاً سحيقاً من النار.

وقودهـــا الأحجـــار والفُجَّـــرُ الكفـــار
خزانهـــا زبانيـــه علـــى ذويهـــا قاســـيه
ملائـــك غـــلاظ عاتيـــة أفظـــاظ
قـــد غضـــبوا لـــربهم فعبســـوا في وجههـــم
فكـــم لهـــم مـــن نقمـــة ومـــا بهـــم مـــن رحمـــة
قـــد فعلـــوا مـــا كلفـــوا مـــا قصـــروا أو أســـرفوا

* * * *

وكـــم رَجَـــوْا خُزَّانهـــا ســـؤالهم دَيَّانهـــا
تمـــامهم أو رحمـــا مـــن العـــذاب يومـــا

* * * *

أمـــا أتـــتكم نُـــذْرُ مـــن ربكـــم تحـــذر؟
قـــالوا: بَلَـــى – فقـــالوا دعـــاؤكم ضـــلال
وإنكـــم لَمُكَّـــثُ ولا ممـــات يحـــدث
لا تنفـــع الأعـــذار إذ جمعـــت الأوزار
فأجهشـــوا يـــا ربنـــا ضـــلالنا عـــذبنا
وأنـــت إن أخرجتنـــا لا نعـــص مـــا أمرتنـــا
قـــال اخســـئوا لا تنبســـوا ولتيأســـوا فيئســـوا

١٥٦- تكليم الله لرجلين من أهل النار [١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا[٢]. فَقَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: أَخْرِجُوهُمَا فَلَمَّا أُخْرِجَا قَالَ لَهُمَا: لأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا؟ قَالا: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا. قَالَ: إِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ[٣]. فَيَنْطَلِقَانِ فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ فَيَجْعَلُهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلامًا. وَيَقُومُ الآخَرُ فَلا يُلْقِي نَفْسَهُ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا تُعِيدَنِي فِيهَا بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِي. فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: لَكَ رَجَاؤُكَ. فَيَدْخُلانِ جَمِيعًا الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تعالى [٤].

رواه الترمذي بسند ضعيف [٥].

---

(١) أي بكلام امتحان واختبار ورحمة وإحسان .

(٢) الصياح: الصوت بأقصى الطاقة .

(٣) لما فرطا في جنب الله وقصرا في العاجلة في امتثال أمره تعالى - أُمرا هنالك بالامتثال في إلقاء نفسيهما في النار إيذاناً بأن الرحمة إنما هي مترتبة على امتثال أمر الله عز وجل.

(٤) مكافأة لامتثال أمر ربه، كما جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.

(٥) قال صاحب التاج: لما امتنع الثاني رجاء أن يرحمه الله، وامتثل الأول أمر ربه وألقى بنفسه في النار تكرم عليهما بفضله وأدخلهما الجنة .

تحفة الأحوذي أبواب صفة جهنم جـ٧ صـ٤٧٤ رقم ٢٧٢٦.

١٥٧ - جبريل وذهابه إلى الجنة والنار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا(١). قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا(٢). فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ(٣). فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ(٤). قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا. فَذَهَبَ فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا(٥). فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا(٦). فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ

---

(١) أي ما هيأت فيها لعبادي الصالحين.

(٢) أي سعى في أسباب دخولها .

(٣) أحاطها بما تكرهه النفوس من العبادات والطاعات فلا يدخلها إلا من قام بها، وقوله " حفت " بصيغة المجهول من الحفاف وهو ما يحيط بالشيء حتى لا يتوصل إليه إلا بتخطيه أي أحيطت. وفي البخاري حجبت، وقوله بالمكاره أي بما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركا، وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه.

(٤) سبب ذلك وجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة النفس وكسر الشهوات ولكنه سهل على من يسره الله تعالى لدخول الجنة .

(٥) أي فذهب إليها جبريل فنظر إليها فإذا هي طبقات بعضها فوق بعض تتلظى وتتلهب، وعذابها أنواع، وحرها شديد، وكربها مزيد، وعويلها لا يفنى ولا يبيد.

(٦) فكل من سمع بوصفها سعى فيما يبعده عنها.

بالشَّهَوَاتِ[١]. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إليها فَنَظَرَهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا[٢].

رواه الترمذي وصاحباه بسند صحيح [٣].

---

(١) أي بكل ما تشتهيه النفوس مما يغضب الله ورسوله. وقيل ما يستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه إما بالأصالة وإما بكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات.

(٢) لإحاطتها بالشهوات التي تميل إليها النفوس. قال الإمام النووي: قال العلماء: وهذا من بديع الكلام وفصيحه، وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل والحسن. ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات، ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات. ولذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب. فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء، والصبر عن الشهوات ونحو ذلك

وأما الشهوات التي حفت النار بها : فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والنظر إلى الأجنبية والغيبة واستعمال الملاهي ونحو ذلك

وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه لكن يكره الإكثار منها مخافة أن يجر إلى المحرمة أو يقسي القلب أو يشغل عن الطاعات ونحو ذلك.

(٣) تحفة الأحوذي أبواب صفة الجنة جـ٧ صـ٢٣٦ حديث رقم ٢٦٨٥ .

١٥٨- آخر من يخرج من النار

عَنْ عَبْدِاللَّه رَضِي اللَّه عَنْه- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لأَعْلَمُ آخرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا منْهَا وَآخرَ أَهْلِ الْجَنَّة دُخُولاالجنة. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّار حَبْوًا[١]. فَيَقُولُ اللَّهُ تبارك وتعالى له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فيأْتيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْه أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى فَيَقُولُ: الله تبارك وتعالى له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فيأْتيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْه أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى. فَيَقُولُ اللهُ لهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا[٢]. أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بي[٣].

---

(١) وفي رواية: زحفا قال أهل اللغة: الحبو المشي على اليدين والرجلين، وربما قالوا على اليدين والركبتين، وربما قالوا على يده ومقعدته، وأما الزحف فقال ابن دريد: هو المشي على الإست مع إشرافه على صدره فهو مع الحبو متماثلان أو متقاربان ولو ثبت الاختلاف حمل على أنه في حال يزحف وفي حال يحبو.

(٢) وفي رواية الأعمش: فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه أي الدنيا، فيقول نعم، فيقال له: تمنّ فيتمنى، وقال الآبي: قلت الأظهر أنه يعني بالدنيا المعمور من الأرض لتقديره في بعض الطرق بمُلك مَلك، وإنما يملك منها المعمور.

(٣) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: قال فرحاً ودهشة ببلوغه ما لم يخطر بباله وجرى على عادته في الدنيا من مخاطبة المخلوق، وأراد بالاستهزاء لازمه من الإهانة ونحوها وقال السنوسي: السخرية سفه وهو على الله محال، وإنما جاءت في القرآن على سبيل المقابلة، وهي أيضاً هنا كذلك لأن المقابلة تكون في اللفظ والمعنى، وهي هنا في المعنى؛ لأن الرجل في غدره بعد عهوده كالساخر فالإذن له بالدخول مع تخيله أنها ملأى ضرب من الأطماع والسخرية به عقوبة له على غدره كأنه قال أتسخر بي أي أتعاقبني بالأطماع .

أَوْ: أَتَضْحَكُ بِي[١] وَأَنْتَ الْمَلِكُ . قال: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[٢]. قال: فَكَانَ يَقُالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً[٣].

رواه الشيخان[٤].

وقال القرطبي: أكثروا في تأويله وأشبه ما قيل فيه أنه استخفه الفرح وأدهشه فقال ذلك، وقيل قال ذلك لكونه خاف أن يجازى على ما كان منه في الدنيا من التساهل في الطاعات وارتكاب المعاصي كفعل الساخرين فكأنه قال أتجازيني على ما كان مني؟ فهو كقوله سخر الله منهم وقوله الله يستهزئ بهم أي يترل بهم جزاء سخريتهم واستهزائهم .

(١) قال البيضاوي: نسبة الضحك إلى الله تعالى مجاز بمعنى الرضا

وفي رواية ابن مسعود " فضحك ابن مسعود فقالوا: مما تضحك؟ فقال هكذا فعل رسول الله ﷺ من ضحك رب العالمين حين قال الرجل: أتستهزئ مني؟ قال: لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر" .

قال ابن حجر: وضحك النبي ﷺ على حقيقته، وضحك ابن مسعود على سبيل التأسي.

(٢) النواجذ: الأنياب، وفي ذلك كناية عن زيادة سرور الرسول ﷺ من سعة كرم الله على آخر من يخرج من النار.

(٣) قوله " وكان يقال ذلك أدني أهل الجنة مترلة " قال الكرماني ليس من تتمه كلام النبي ﷺ بل من كلام الراوي نقلاً عن الصحابة أو عن غيرهم من أهل العلم.

(٤) فتح الباري كتاب الرقاق حديث رقم ٦٥٧١ ، صحيح مسلم شرح النووي كتاب الإيمان رقم ٣٠٨.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

أشد سكان الجنان فقرا نصيبه منها كدنيا عشرا

١٥٩- آخر من يخرج من النار أيضاً

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لأَعْلَمُ آخرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ وَآخرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا: رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا(١). فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا. كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ. لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ فَيُقَالُ: لَهُ فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً(٢). فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لا أَرَاهَا هَا هُنَا(٣). فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ (٤).

رواه مسلم والترمذي(٥).

---

(١) وفي رواية الترمذي: وأخبئوا كبارها: قال المباركفوري:الظاهر أنه أمر من الخبء . قال ابن الأثير: يقال خبأت الشيء أُخَبِّئُهُ إذا أخفيته.

(٢) تبديل كل سيئة بحسنة لمن قال، مثله في قوله تعالى ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ الفرقان ٧١ ، فضلاً منه تعالى.
قال القاري: وهو إما لكونه تائباً إلى الله تعالى وقد قال تعالى ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ لكن يشكل بأنه كيف يكون آخر أهل النار خروجاً، ويمكن أن يقال فعل بعد التوبة ذنوباً استحق بها العقاب، وإما وقع التبديل له من باب الفضل من الله تعالى، والثاني أظهر ويؤيده أنه حينئذ يطمع في كرم الله سبحانه وتعالى .

(٣) يعني به كبائر ذنوبه التي لم تعرض عليه وقال الآبي: هذا استكثار للحسنات إذا علم أنه لا يؤاخذ بسيئاته وإنما تبدل له حسنات.

(٤) وفي الحديث دلالة على رحمة الله تعالى بعباده وسرور الرسول ﷺ بنجاة أمته من النار.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأيمان حديث رقم ٣١٤ .
تحفة الأحوذي أبواب صفة جهنم حديث رقم ٢٧٢٣ جـ٧ صـ٢٧٢
آخر من يخرج من النار أيضاً صـ٢٤، ٢٥، ٢٦.

١٦٠- آخر من يخرج من النار أيضاً (ب)

عَنِ عبد الله بْنِ مَسْعُود ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: آخرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً (١) وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً(٢). فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذي نَجَّاني منْك لَقَدْ أَعْطَاني اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا منَ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ فَتُرْفَعُ لَهُ(٣) شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنني منْ هَذه الشَّجَرَة فَلأَسْتَظلَّ بظلِّهَا وَأَشْرَبَ منْ مَائهَا فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَني غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. وَيُعَاهدُهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْه(٤). فَيُدْنيه منْهَا فَيَسْتَظلُّ بظلِّهَا وَيَشْرَبُ منْ مَائهَا ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هيَ أَحْسَنُ منَ الأُولَى فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنني منْ هَذه لأَشْرَبَ منْ مَائهَا وَأَسْتَظلَّ بظلِّهَا لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهدْني أَنْ لا تَسْأَلَني غَيْرَهَا؟ لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ منْهَا تَسْأَلُني غَيْرَهَا. فَيُعَاهدُهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْه فَيُدْنيه منْهَا فَيَسْتَظلُّ بظلِّهَا وَيَشْرَبُ منْ مَائهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عنْدَ بَاب الْجَنَّة هيَ أَحْسَنُ منَ الأُولَيَيْنِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنني منْ هَذه لأَسْتَظلَّ بظلِّهَا

---

(١) يكبو أي يسقط لوجهه .

(٢) تسفعه النار أي تلفح وجهه فتحرقه وتسوده، وقيل أن هذا الرجل آخر من يدخل الجنة ممن لم يدخلوا النار فكان يمشي على الصراط مرة ويسقط على وجهه أخرى وتسفع النار وجهه أحيانا حتى يدخل الجنة بسلامة الله .

(٣) فترفع له شجرة: أي تظهر له شجرة ذات أغصان وظلال وتحتها أنهار. أي: شجرة عظيمة تبهر الناظر لها .

(٤) ما لا صبر له عليه: أي منه وهو نعيم تلك الشجرة.

وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا فَيُدْنِيه منهَا فإذَا أَدْنَاهُ منْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّة فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ[1]؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ[2]؟. فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُود فَقَالَ: أَلا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فسألوهُ فقالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: مِنْ ضحْك رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ منْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ [3].

رواه مسلم [4].

---

(١) ما يصريني منك: معناه ما يقطع مسألتك مني والصري بفتح الصاد وسكون الراء: القطع يقال صريت الشيء: قطعته أيْ: أيّ شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك يقال صراه يصريه إذا قطعه ودفعه ومنعه.

(٢) قال ذلك استعظاماً لإعطائه قدر الدنيا مرتين . وربما كان أفخم وأعلى وأعظم من قدر الدنيا عشر مرات السابق لآخر من يخرج من النار فلا اعتراض.

(٣) قوله " ولكني على ما أشاء قادر " قال الطيبي: هو استدراك من مقدر، فإنه تعالى لما قال له " أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها " فاستبعده العبد لما رأى أنه ليس أهلاً لذلك، وقال: أتستهزئ بي: قال سبحانه وتعالى: نعم كنت لست أهلاً له لكني أجعلك أهلاً له وأعطيك ما استبعدته لأني على ما أشاء قدير.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب الأيمان – حديث رقم ٣١٠.

ويستفاد من الحديث الشريف:

- أن المؤمن مع إقراره بفضل الله عليه يتطلع إلى المزيد من عطاء الله ولا يستطيع الصبر عما يراه من جمال النعيم في الدار الآخرة .
- أن الله يعذر عباده فيما يعلم عدم صبرهم عليه ويعاملهم بالفضل في ذلك .
- تأسي الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله ﷺ في كل شيء حتى ما يتعلق بطريقة كلامه وإبداء سروره.
- أنه لا منافاة بين عطاء الله لعباده في هذا الحديث وما قبله ، والأظهر أن هذا يتعلق بآخر من يدخل الجنة ممن لم يدخل النار ، وما سبق آخر من يدخل الجنة ممن كان في النار.

١٦١- أقل أهل الجنة، وأكرمهم على الله تعالى

عَن الشَّعْبِيِّ ﷺ قَالَ: سَمعْتُ الْمُغيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ عَلَى الْمنْبَــرِ يقــولُ: إنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّــة مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجيءُ بَعْدَ مَا أُدْخلَ أَهْلُ الْجَنَّة الْجَنَّةَ. فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُــلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَــذَاتهمْ؟[١]. فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مثْلُ مُلْك مَلك منْ مُلُوك الــدُّنْيَا؟ فَيَقُــولُ: رَضيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ لَكَ ذَلكَ وَمثْلُهُ وَمثْلُهُ وَمثْلُهُ وَمثْلُهُ فَقَالَ فــي الْخَامسَــة رَضيتُ رَبِّ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَاله وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ[٢]. وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضيتُ رَبِّ. قَالَ[٣]: رَبِّ فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئكَ الَّــذينَ أَرَدْتُ[٤]. غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي[٥]. وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ

---

(١) أخذاتهم جمع أخذة وهو كل ما أخذوا من كرامة ربهم عز وجل والمعنى صــاروا إلى منازلهم في الجنة .

(٢) ولك ما اشتهت نفسك: أي لك ما اشتهت نفسك ولذت عينك زيادة على ذلك.

(٣) موسى عليه السلام .

(٤) أولئك الذين أردت: أي اخترتهم واصطفيتهم، وغرســت كرامتــهم بيــدي : أنزلتهم منزلة عليا لا يعلمها إلا الله تعالى فلا يصل إليها حــس ولا يتطــرق إلى كرامتهم تغيير.

(٥) اليد بمعنى الجارحة محال على الله تعالى: ثم اختلف فقيل: اليد واليدان في الآيــة صفة علمناها بالسمع ونكل تفسيرها إلى الله عز وجل، وقيل: تُحمــل علــى مدلولها لغة. وهي لغة: النعمة والقدرة والملك وتَعدَّى بعضهم وحملــها علــى القدرة لأن كل شيء لقدرته إلى أن يقال المراد التأكيد والبيان، أو يكون وجــه التخصيص التنبيه على أنها ليست كجنات الدنيا المخلوقة عن وسائط من غرس وغيره وإنما أنشأها بقول كن وأضافها إلى نفسه تشريفاً.

أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ[١]. قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ[٢]. في كتَاب اللّه عَزَّ وَجَلَّ (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [٣]. رواه مسلم والترمذي[٤].

---

(١) قال السنوسي: قلت يحتمل أن يكون من باب نفي الصفة للدلالة على نفي الموصوف أو من باب نفي الصفة فقط فعلى الأول: لا عين هنالك ولا رؤية ولا أذن ولا سماع ولا قلب ولا خطور، وعلى الثاني المنفي الرؤية والسماع والخطور فقط وهذا الثاني أرجح .

قال الطيبي: وإنما خص هذا الأخير (خطر على قلب بشر) بذكر البشر دون القرينتين السابقتين (العين والأذن)؛ لأنهم الذين ينتفعون بما أعد لهم ويهتمون بشأنه ويخطرونه ببالهم بخلاف الملائكة والحديث كالتفصيل للآية فإن الآية نفت العلم. والحديث نفى طرق حصوله.

(٢) مصداقه: أي دليله الذي يصدقه. وفي هذه دلالة على سعة فضل الله وامتداد عطائه لعباده المؤمنين .

(٣) آية رقم ٣٢ السجدة .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان حديث رقم ٣١٢ .

١٦٢ - ثلاثة أحاديث في هذا الموضوع

عن ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما- عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِه(١)، وَأَزْوَاجِه، وَنَعِيمِه وَخَدَمِه وَسُرُرِه مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ(٢). وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ(٣). مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِه غُدْوَةً وَعَشِيَّةً. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)(٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ(٥). الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ(٦). وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً(٧).

---

(١) جنان جمع جنة: أي بساتينه.

(٢) أي حال كون جنانه وما عطف عليه من صور النعيم كائن في مسافة مسير ألف سنة. والمعنى: أن ملكه مقدار تلك المسافة. قال صاحب التاج: فأقل أهل الجنة مترلة من يسير في ملكه في الجنة لينظر ما فيه من بساتين، وقصور، وأنهار، وعيون، وسرر، وخدم، وزوجات، فيستغرق في مسيرة ألف سنة، فلربنا جليل الحمد وجليل الشكر.

(٣) أي أكثرهم كرامة وأعلاهم مترلة وأقربهم رتبة عنده سبحانه من يؤذن له في النظر إلى مولاه بكرة وعشية، أي حين بعد حين كما بين البكرة والعشي.

(٤) سورة القيامة الآيات ٢٣، ٢٤. وجوه يومئذ ناضرة: أي ناعمة غضة حسنة والمراد بالوجوه الذوات وخصت لشرفها ولظهور أثر النعمة عليها. وعن الحسن قال: النضرة: الْحُسْن. نظرت إلى ربها فنضرت بنوره، وعنه ناضرة: حسنة وقوله ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق.

(٥) أدنى أهل الجنة: أي أقلهم مرتبة .

(٦) قال المناوي أي يعطي هذا العدد، أو هو مبالغة في الكثرة .

(٧) أي من الحور العين كما في رواية أخرى وقيل اثنتان من نساء الدنيا والسبعون من الحور العين .

وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ كَمَا بَيْنَ الْجَابِيَةِ إِلَى صَنْعَاءَ (١). إن عَلَيْهِمُ التِّيجَانَ إِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ مِنْهَا لَتُضِيءُ ما بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ(٢).

رواهما الترمذي (٣).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ(٤). ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٥). قَالَتِ الْجَنَّةُ(٦): اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ(٧). وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ (٨).

رواه الترمذي والنسائي (٩).

---

(١) الجابية: قرية بالشام بالقرب من دمشق، وصنعاء باليمن والمسافة بينهما أكثر من شهر بالسير على الأقدام، فتكون تلك القبة ذات غرف كل منها من نوع تلك الجواهر. نسأل الله أن نكون من أهلها .

(٢) لتضيء ما بين المشرق والمغرب: أي لتنور فأضاء متعد، ويمكن أن يكون لازماً والتقدير: ليضيئ به ما بينهما من الأماكن لو ظهرت على الدنيا.

(٣) تحفة الأحوذي أبواب صفة الجنة حديث رقم ٢٦٧٧، ٢٦٨٧ جـ٧ صـ٢٢٧ — ٢٣٩.

(٤) أي بأن قال: اللهم إني أسألك الجنة أو قال: اللهم أدخلني الجنة.

(٥) ثلاث مرات: أي كرره في مجالس أو مجلس بطريق الإلحاح على ما ثبت أنه من آداب الدعاء.

(٦) قالت الجنة أي ببيان الحال أو بلسان المقال لقدرته تعالى على إنطاق الجمادات وهو الظاهر .

(٧) أي دخولاً أولياً أو لحوقاً آخرياً .

(٨) أي من دخوله أو خلوده فيها .

قال الطيبي وفي وضع الجنة والنار موضع ضمير المتكلم تجريد ونوع من الالتفات.

(٩) تحفة الأحوذي باب ما جاء في صفة الجنة حديث رقم ٢٦٩١ ج٧ ص٢٤٣، سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي كتاب الاستعاذة رقم ٥٥٣٦ ج٨ ص٦٧٤.

١٦٣- إن أبرَّ البر صلة الولد أهل ود أبيه

عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما- أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَاب لَقيَهُ بطَرِيقِ مَكَّةَ فَسَلَّمَ عَلَيْه عَبْدُ اللَّه بن عُمَرَ وَحَمَلَهُ عَلَى حمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ وَأَعْطَاهُ عمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسه فَقَالَ ابْنُ دينَارٍ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ بالْيَسيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّه: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لعُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب[1]. وَإِنِّي سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ [2].

رواه مسلم [3].

---

(١) وداً لعمر أي: صديقاً يقال هو وده، وود أبيك أي: صاحب ودك .

(٢) قوله : " إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه " يعني أن آكد البر وأفضله إيثار أهل ود الأب على غيرهم لا على الأب لأنه إنما كان من قبل الأب، والصلة، واللطف، والتَّحفِّي أحد معاني البر .
وفي الحديث الشريف دعوة إلى الإحسان إلى الوالدين بعد مماهما بصلة أهل ودهما في حياهما فإن ذلك سبيل إلى الترحم عليهما وفي تكريم أصحابهما تكريم لهما ، ومن ثم كان حرص ابن عمر – رضي الله عنهما – بالوصول بالبر إلى منتهاه .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب رقم ٢٥٥٢.

يقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكم شاعر الرسول ﷺ عن الوالدين:

اسمع كلامهما وقم لهما ولا ... تنظرهما شزراً ولا تَبَرَّمْهُمَا
وإذا هما قضيا فبرَّ أقاربا ... ومصاحباً لهما وزر قبريهما
وتصدقنَّ عليهما وارج الرضا ... من ذي المراحم والمكارم عنهما
وإذا أتيت بصالح وثوابه ... أهديته عند الجميع ينلهما
واعلم بأن جميع ما تأتي به ... لا بدّ يعرضه الإله عليهما
وبخيره سُرّا فَسُرَّهما به ... وبشَرّه حَزِنَا فلا تُحزنهما

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث :

واعطف على أبويك واعلم أنما رَأَيَاهُ منك تراه مــن أبناكــا
واخفض جناح مذلة لهمــا ولا تنـــهرهما فكلاهمـــا رباكـــا
وكنِ المطيعَ إذا دُعيت لصالح ولطالح كلا ولـــو جَهَـــداكا
واطعهما في شبهة إذ تَرْكُهـــا ورع ومن حقيهما إرضـــاكا
وإذا هما قَضَيَا فصلِّ عليهمـــا واستغفرن لهما وصِلْ قرباكـــا
أكرم صديقهما وزر قبريهمـــا وتصدقن واعمل بما أَمَراكـــا
واعلم بأنك إن لعنت أبا امرئ من غير ما شك لعنت أباكـــا
لا بد من رد اللعان فمن يطـــق جهراً وإلاَّ كان من أخفاكـــا

١٦٤ – المرأة وابنتها

عن عَائِشَةَ –رضي الله عنها – قَالَتْ: جَاءَتْني امْرَأَةٌ ومَعَهَا ابْنَتَان تَسْأَلُني فَلَمْ تَجدْ عِنْدي غَيْرَ تَمْرَة وَاحدَة فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا(١) ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: مَنْ بُلي منْ هَذه الْبَنَات(٢). بشَيْءٍ(٣). فَأَحْسَنَ إلَيْهنَّ(٤). كُنَّ لَهُ سِتْرًا منَ النَّار (٥).

---

(١) فالمرأة مع شدة جوعها لم تَطْعَم من التمرة شيئاً، بل قسمتها بين ابنتيها رحمة بهما وشفقة عليهما .

(٢) معنى بلى: امتحن. سماهن بلية لأن الناس يكرهونهن كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَداً ﴾ النحل ٥٨، قال الآبي: فإن قلت يلزم ألا يكنَّ ستراً إلا لمن أحسن إليهن على تكرُّهٍ حتى يتقرر كونهن بلية؛ لأن من أحسن إليهن وهو يحبهن فهن له نعمة لا بلية قلت: الحديث خرج مخرج الغالب.. لأن الغالب كونهن بلية، وتجهيز البنات من المتناهى فيه من الإحسان إليهن ما لم يخرج إلى حد السرف.

(٣) الشيء يَصْدُق على الواحدة .

(٤) معنى الإحسان إليهن. القيام بما يصلحهن في كل أمورهن فلفظ الإحسان عام مطلق، فإن زادت البنات على واحدة حصلت له زيادة عن المباعدة عن النار، وهي السبق مع رسول الله ﷺ إلى الجنة.

(٥) ستراً : أي حجاباً وحائلاً بينه وبين النار .

وفي الحديث تأكد حق البنات على حق البنين لضعفهن عن القيام بمصالحهن من الاكتساب وحسن التصرف وجزالة الرأي فإذا تأيمت رجعت إلى أبيها كما في حديث سراقة بن مالك أن النبي ﷺ قال : ألا أدلك على أفضل الصدقة ؟ ابنتك مردودة إليك ليس لها كاسب غيرك.

رواه الشيخان والترمذي [١].

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَات أَوْ ثَلاثُ أَخَـوَات أَوِ ابْنَتَـان أَوْ أُخْتَـانِ فَأَحْسَـنَ صُحْبَتَهُنَّ [٢]. وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ [٣]. رواه الترمذي وأبو داود [٤].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّـه عَلَيْـه وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا [٥]. وَلَمْ يُهِنْهَا [٦]. وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ [٧] عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . رواه أبو داود بسند صالح [٨].

---

(١) فتح الباري كتاب الأدب حديث رقم ٥٩٩٥ ، صحيح مسلم بشرح النـووي كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الإحسان إلى البنـات حـديث رقـم ٢٦٢٩. عارضة الأحوذي كتاب البر والصلة رقم ١٩١٣ ج٤ ص ٨١ .

(٢) أي تعهدهن وقام بمؤونتهن وأدَّبهن بآداب الشريعة وعلمهن .

(٣) أي دخوله مع السابقين وفيه تأكيد حق البنات على حق البنين لضـعفهن عـن الاكتساب.

(٤) تحفة الأحوذي كتاب البر والصلة حديث رقم ١٩١٦ جـ٤ صـ٨٢.
سنن أبي داود كتاب الأدب رقم ٥١٣٦ .

(٥) لم يئدها: أي لم يدفنها حية من وأد يئد وأداً وكانت العرب يدفنون البنات أحياء.

(٦) من الإهانة.

(٧) ولم يؤثر ولده عليها أي ولده الذكر- إذا كان له- على الأنثى. بل يحسـن إلى الأولاد على السواء .
قال ابن عباس: يعني ﷺ أي: الذكور. أي يريد النبي ﷺ بالولد: الذكور.

(٨) سنن أبي داود كتاب الأدب حديث رقم ٥١٣٥.

يقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكمة الرجز :

تحت عنوان اعدل بين أولادك:

لا تُكْـــرِمَنَّ الولـــدا	عنـــها بشـــيء أبـــداً
بـــل اعطِيَنْهـــا الحقـــا	إن كنـــت تخشـــى الحقـــا
بـــالله ســـوِّ بينـــهم	إذا أردت بـــــرَّهم
كـــم والـــد قـــد قـــدّما	فجـــرَّ بينـــهم دمـــا
وكـــم رأينـــا مـــؤثرا	مضـــيعا مـــا أُثـــرا
يـــا مؤمنـــاً بمـــن قســـم	لا تَكْـــرَهن مـــا قســـم
والله مـــا أعدلـــه	فســـلم الأمـــر لـــه
وارْضَ الـــذي يرضـــاه	تبلـــغ بـــه رضـــاه

١٦٥ - أبو اليَسَرِ[١] وغلامه

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيد بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت ﷺ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلكُوا[٢]- فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقينَا أَبَا الْيَسَرِ صَاحبَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَمَعَهُ غُلامٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ[٣] منْ صُحُف وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافرِيٌّ[٤]، وَعَلَى غُلامه بُرْدَةٌ وَمَعَافرِيٌّ، فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمّي لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلامكَ وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافرِيَّكَ وَأَخَذْتَ مَعَافرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْه حُلَّةٌ[٥]. فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فيه. يَا ابْنَ أَخِي : بَصُرَ عَيْنَايَ هَاتَان وَسَمِعَ أُذُنَايَ هَاتَان وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا[٦] - وَأَشَارَ إِلَى مَنَاط قَلْبه- رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه

---

(١) أبو اليسر: هو كعب بن عمرو شهد العقبة وبدراً، وهو ابن عشرين سنة وهو آخر من توفي من أهل بدر رضي الله عنهم توفي بالمدينة سنة ٥٥ هـ.

(٢) وهم أهل المدينة رضي الله عنهم .

(٣) ضمامة بكسر الضاد: أي رزمة تضم بعضها إلى بعض، من صحف: أي من ورق مكتوب فيه .

(٤) البردة: شملة مخططة وقيل كساء صغير مربع تلبسه الأعراب .

والمعافري نوع من الثياب يصنع بقرية تسمي معافر وقيل هي نسبة إلى قبيلة نزلت تلك القرية .

(٥) قال صاحب التاج: الحلة عند العرب ثوبان من جنس واحد.

وقال أبو عبيد الحلة إزار ورداء ولا يكون حلة حتى يكونا ثوبين ومنه قوله في الحديث " فرأى رجلاً عليه حلة قد ائتزر بأحدهما وتردى بالآخر، وقيل: لا يقال حلة إلا للثوب الجديد الذي حُل الآن من طيه؛ لأن الحلة ثوب على ثوبٌ وسميت حلة لحلول أحدهما على الآخر .

(٦) هذا يعد بيان وتأكيد لسماعه من النبي ﷺ بدون واسطة .

وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ(١). وَكَانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٢).

رواه مسلم (٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ(٤). فَصَمَتَ(٥). فَأَعَادَ الْكَلَامَ فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ. قَالَ: فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً(٦).

رواه أبو داود والترمذي (٧).

---

(١) قال الآبي: كان بعض شيوخنا يقول المراد بما تلبسون: الاتحاد في النوع لا في الصنف. والمعنى أطعموهم من طعامكم. وألبسوهم من لباسكم وهذا للكمال وإلا فالواجب على السيد معاملتهم بما جرت به عادهم زماناً ومكاناً.

(٢) أي عطائي له في دنياي أسهل من أخذ حسناتي في الآخرة. فالمصدر المؤول اسم كان وخبرها أهون علي. وفي الحديث قبل تعليل أبي اليسر دعوة إلى البر بالأتباع.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد والرقاق رقم ٣٠٠٧ جـ٩ صـ١٣١.

(٤) كم نعفو: أي كم مرة نعفو ونصفح عنه .

(٥) فصمت: أي سكت قيل كان الصمت لكراهة السؤال فإن العفو مندوب إليهم مطلقاً دائماً فلا حاجة إلى تعيين عدد مخصوص، أو كان الصمت لانتظار الوحي.

(٦) قيل المراد به التكثير دون التحديد، وإنما طلب العفو كثيراً أملاً في رحمة الله تعالى " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " .

(٧) سنن أبي داود كتاب الأدب رقم ٥١٥٣ .
تحفة الأحوذي كتاب البر والصلة رقم ١٩٤٩ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب:

أي دين صاحب العهد جعــل حكمه حكم الذي فيه دخــل
قَلّبِ الأديــان أخــرى وأول لا ترى غيري من الأديان دين

أي دين أهلُــهُ فيــه ســواء تَرِبُ الكفين أو رب الثــراء
والرعايا فيه تحكــى الخلفــاء ليس غيرَ الله فــوق العــالمين

١٦٦ – الرجل المشتكي جاره إلى النبي ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـــه وَسَـــلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ. فَقَالَ ﷺ: اذْهَبْ فَاصْبِرْ[١]. فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا. فَقَالَ ﷺ: اذْهَبْ فَاطْرَحْ[٢] مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ. فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْـــأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَيَلْعَنُونَهُ[٣]: فَعَلَ اللَّهُ بِهِ[٤] وَفَعَلَ وَفَعَلَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ لا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ[٥]. رواه أبو داود والترمذي[٦].

---

(١) اذهب فاصبر أي على إيذائه.

(٢) فاطرح: أي ألق ما تتمتع به في بيتك من أثاث وغيره في الطريق.

(٣) فيلعنونه: أي جاره المؤذي .

(٤) فعل الله به: هذا دعاء سوء ، وهو بيان لما قاله الناس في اللعـــن وكنايـــة عـــن سخطهم على ذلك الجار.

(٥) أي فلما رأى الجار المؤذي ذلك الذي حدث جاء إلى جاره وقال له ارجـــع إلى بيتك فلن أضرك .

ويؤخذ من الحديث الشريف: وجوب الإحسان إلى الجار وعدم الإساءة إليـــه ، وفضل الصبر على أذى الجار غرساً للمودة في النفوس. وفيه بيان لحكمة الرسول ﷺ وحل مشكلة الجار الذي وقع عليه الأذى بطريقة عملية بعيداً عن النزاع والشقاق.

(٦) سنن أبي داود كتاب الأدب باب حق الجار حديث رقم ٥١٤٢.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث:

واعرف لجارك مؤمنا أو كافراً ... حقاً إليه دعاك مـــن ســوّاكا
والله لســـت بمــؤمن إلاّ إذا ... أمنَ الأُلى قد جاوروك أذاكـــا
وامدده مفتقراً وَعُدْه أخا ضنى ... وإذا يمت فاجعل وراه خطاكا
وإذا سقاك الصبر فالشَّهدَ اسقه ... واصبر وراقب فيه من وصاكا

١٦٧ - رُدُّوا ولدها إليها

عَنْ عَبْد اللَّه ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقْتُ لحَاجَتي فَرَأَيْت حُمَّرَةً[١] مَعهَا فَرْخَان فَأَخَذْتُ فَرْخَيْهَا. فَجَاءَت الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تُعَرِّشُ[٢]. فَجَاءَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ[٣] هَذه بوَلَدهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إلَيْهَا[٤]، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا[٥]. فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذه؟ قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: إنَّهُ لا يَنْبَغي أَنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إلا رَبُّ النَّارِ "[٦].

رواه أبو داود[٧].

---

(١) الحمّرة: بضم الحاء وتشديد الميم طائر صغير كالعصفور وقال الدميري: ضرب، (أي: نوع) من الطير كالعصفور، والواحدة حمرة، وهي حلال بالإجماع؛ لأنها من أنواع العصافير.

(٢) تعرش من التعريش: وهو أن ترتفع وتظل بجناحيها على من تحتها، وفي مجمع البحار: من عرش الطائر إذا رفرف بأن يرخي جناحيه، ويدنو من الأرض ليسقط ولا يسقط حزناً على أخذ فرخيها، وروي :تفرش أي تبسط.

(٣) فجع من التفجيع أي من أصاب المصيبة.
قال الفيومي: الفجيعة: الرزية والرزية: المصيبة.

(٤) رحمة بها وبولدها.

(٥) كرّه مجاهد قتله، ويري الشافعية فيه وجه حرمة قتله لهذا الحديث.

(٦) وفي الحديث الشريف دعوة إلى الرحمة لجميع خلق الله وعدم التجاوز في التعذيب بالنار.

(٧) سنن أبي داود، أبواب السلام، باب في قتل الذر رقم ٥٢٥٧.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب:

طلعت على الوجود أتم رحمه ... وأعظم منة وأجل نعمه
ويوم الحشر تكشف كل غمه ... وتمنح فيه محمود المقام

١٦٨- المفلس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ[(١)] مَا الْمُفْلسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلسُ فينَا مَنْ لا درْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ[(٢)]. فَقَالَ: إنَّ الْمُفْلسَ[(٣)] منْ أُمَّتي مَنْ يَأْتي يَوْمَ الْقيَامَة بصَلاة وَصيَام وَزَكَاة، وَيَأْتي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا منْ حَسَنَاته، وَهَذَا منْ حَسَنَاته[(٤)]، فَإِنْ فَنيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْه أُخذَ منْ خَطَايَاهُمْ

---

(١) أتدرون: أي أتعلمون وهذا سؤال إرشاد لا استعلام .
قال الآبي: يحتمل أنه استنطاق ليرتب عليه ما ذكر بعده ويحتمل أنه استفهام حقيقة.

(٢) من لا درهم له ولا متاع: أي مما يحصل به النقد، ويتمتع به من الأقمشة والعقار والجواهر والعبيد والمواشي وأمثال ذلك، والحاصل أنهم أجابوه بما عندهم من العلم بحسب عرف أهل الدنيا وغفلوا عن أمر الآخرة، وكان حقهم أن يقولوا الله ورسوله أعلم؛ لأن المعنى الذي ذكره كان واضحاً عنده ﷺ.
قال الآبي: بينوه بمدلوله لغة واستعمالاً، لأنه اسم فاعل من أفلس إذا افتقر حتى صارت دراهمه كلها فُلوساً، ويجوز أنه صار إلى حال يقال فيه ليس بيده فَلْس كما يقال ذل الرجل إذا صار إلى حال يَذلُّ فيها .

(٣) إن المفلس: أي الحقيقي أو المفلس في الآخرة: جاء في شرح السنوسي على صحيح مسلم: يعني أن ذلك ليس بمفلس لأن فَلَسَهُ ينقطع بموته أو بيسار يحدث له في الحياة، وإنما المفلس الدائم العدم الذي تؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت أُخذ من سيئاتهم ووضعت عليه ثم يلقى في النار.

(٤) فيعطى هذا من حسناته: أي يأخذ من حسناته قصاصاً. فالمفلس من ذهبت حسناته في الآخرة لمن ظلمهم في دنياه .

فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ(١). رواه مسلم والترمذي(٢).

(١) قال المازري: زعم بعض المبتدعة أنه معارض لقوله تعالى ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ الأنعام ١٦٤ وهو غلط وجهالة بيِّنة لأنه إنما عوقب بفعله ووزره ولا يحبط عمله. لما ذهبت حسناته بأخذها للخصوم بقيت عليه بقية فقوبلت بقدرها من سيئات الخصوم وزيدت عليه، فأخذ الحسنات وطرح السيئات نوع من العقوبة للظالمين وزيادة في ثواب المظلومين، ليس أنه أخذ بذنب لم يعمله من ذنوب غيره. هذا مذهب أهل السنة وعليه دل الحديث. نقول: فحقيقة العقوبة مسببة عن ظلمه، ولم يعاقب بغير جناية.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم رقم ٢٥٨١.
تحفة الأحوذي أبواب صفة القيامة- باب ما جاء في شأن الحساب رقم ٢٥٣٣.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث:

لا تظلمن فإن ظلمك ظلمة ومذلة وتوى بيوم لقاكا
وَلَيأْخُذَنَّ من الذي قدمته من صالحٍ مَن كان مِنْ صَرْعاكا
ويحط فوقك من مساويه إذا لم يكفه ما كان من حَسَنَاكَا
وترى من الجبار شدة بطشه فارجع إليه لعل منه نجاكا
يا مُلك من ظلم الورى متجبرا أيقن ولو مُدَّ العنان خَواكا(١)
من كنت تظلمه لفرط معزّة فيجنب من أنشاه ما أخناكا(٢)
لا تستهن بدعائه فدعاؤه سهم إذا ترمى به أصماكا(٣)
إن كان يومك ههنا فاذكر له يوماً يشيب لهوله فوداكا

(١) خوا: تهدم المُلك.
(٢) ما أذلَّكَ وأصغرك أمام ذي العزة والجبروت.
(٣) أصماكا: أصابك أي دعاء المظلوم.

١٦٩ - المعذبون في الخراج

مَرَّ هِشَامُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رضي الله عنهما - بِالشَّـامِ(١). عَلَى أُنَاسٍ وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ(٢). فَقَالَ: مَا هَـذَا؟ قِيلَ يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَاجِ(٣). فَقَالَ هِشَامٌ: أشهد لسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا (٤). رواه مسلم (٥).

---

(١) وفي رواية مر هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط بالشام. والأنباط جمع نبط: وهم قوم نزلوا البطائح بين العراقين، سموا أنباطاً بأنهم كانوا ينبطـون الماء أي يحفرون عليه حتى يخرج على وجه الأرض. يقال: نبط الماء ينبط إذا نبع.

(٢) أي الساخن بالنار.

(٣) في الخراج: أي لأجل دفعه. والخراج : هو ما يخرج من غلة الأرض في البلاد التي افتتحت صلحاً، وتم التصالح على دفع قدر معين منها.

(٤) " إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا " هذا محمول على التعذيب بغير حق فلا يدخل فيه التعذيب كالقصاص والحدود والتعزير ونحو ذلك.
قال القرطبي: يعني يعذبونهم بغير حق، إما في أصل التعذيب، أو بالزيادة على ما شرع في العدد أو في الصفة، وأما التعذيب بحق فلا يتناوله.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة باب ٣٣ الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق رقم ٢٦١٣.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه:

إن شئت رَحْمَته فارحم بريَّتَه ـــــ لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

وقال أيضاً:

إياك والظلم كم زلت به قدم ـــــ واستبعدت نعم واستجلبت نقم
وبادَ قوم ويا ويلَ الألى ظلموا ـــــ يوم القيامة وفيه المقسط الحكم

١٧٠ - الأعرابي الأجهل من بعيره

عَنْ جُنْدُب بن عبد الله البَجَلِيِّ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ثُمَّ عَقَلَهَا[١] ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى خَلْفَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أَتَى رَاحِلَتَهُ فَأَطْلَقَهَا[٢] ثُمَّ رَكِبَ ثُمَّ نَادَى: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلا تُشْرِكْ فِي رَحْمَتِنَا أَحَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَقُولُونَ هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيرُهُ؟[٣]. أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى مَا قَالَ[٤]؟ قَالُوا: بَلَى [٥].

وفي رواية: قال له ﷺ : لقد حجَّرتَ واسعاً يا أخا العرب [٦].

رواه الخمسة ولفظه لأبي داود [٧].

---

(١) أي شد رجلها بالعقال فأبركها.

(٢) أطلقها: حل عقالها .

(٣) هو أضل: أي أجهل، نسب إليه الضلالة والمراد به الجهل لأنه ضيق رحمة الله الواسعة .وفي رواية أتظنون .

(٤) فيه تنبيه على أنه يستحق أن يقال في حق ذلك الأعرابي ما قاله النبي ﷺ.

(٥) جعله النبي ﷺ كالحيوان بل أضل؛ لأنه طلب الرحمة لنفسه وللنبي ﷺ دون خلق الله كلهم فقد حجر رحمة الله التي وسعت كل شيء.

(٦) لقد حجرت واسعاً أي ضيقت ما وسَّعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك، وفيه جواز الغيبة في أهل الفساد والجهل لغرض شرعي كالتحذير من مثل هذه الأوصاف ولكي يسمعوه فينزجروا .

(٧) التاج الجامع للأصول جـ٥ صـ٢٨ سن أبي داود كتاب الأدب باب من ليست له غيبة رقم ٤٨٧٥.

١٧١ - المتصدق بعرضه

عَنْ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ عَجْلانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: " أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمْضَمٍ". قَالُوا: وَمَنْ أَبُو ضَمْضَمٍ؟. قَالَ: "رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كان إذا أصبح قال: اللهم إني جعلتُ عِرْضِي لِمَنْ شَتَمَنِي" (١).

وفي رواية : "اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ. "(٢).

رواه أبو داود بسند صالح (٣).

---

(١) عرضي لمن شتمني:أي متصدق به لمن شتمني. قال صاحب التاج: فإذا قال الشخص كل صباح: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك ، كان عاملاً بقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

(٢) قال أبو الطيب: أي فلو انتقص أحد منهم من عرضي فليس لي عليه من دعوى الانتصار . وهذا منتهى السماحة ومكارم الأخلاق.

(٣) سنن أبي داود كتاب الأدب باب ما جاء في الرجل يُحِلُّ الرجل قد اغتابه رقم ٤٨٧٦ ، ٤٨٧٧ ، ٤٨٧٨ جـ٤.

ويؤخذ من الحديث الشريف:

أن التصدق بالعرض والصفح عمن يغتاب المرء ابتغاء وجه الله مما يحسن في الخلق ويدعو إليه الدين الحنيف.

وقال شيخنا الخطيب في ديوانه:

سامحت حباً في النبي لمن أسا ... بفعاله أو قارص الكلمات
أأسوءه في تابعيه وادّعى ... حُبِّي ولا أعفو عن الهفوات

وقال ﷺ في التسامح وقبول العذر:

قدِّر الشر في الورى فإذا ما ... شمت خيراً فَعُدّ ذلك ربحا
وارقب الله فيهمو واحتملهم ... وأعنهم وإن أساءوا فصفحا

١٧٢- الرجل الذي كان يسبُّ أبا بكر ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ- بحضرةِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَصْحَابه- فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ[١]. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ[٢] يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ[٣] فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ[٤] فَلَمْ أَكُنْ لأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ. رواه أبو داود بسند صحيح[٥].

---

(١) قوله "فانتصر منه أبو بكر" أي عملا بالرخصة المجوزة للعوام وتركا للعزيمة المناسبة لمرتبة الخواص كما قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.الشورى/ ٤٠.
وقال تعالى:﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ النحل/ ١٢٦ وهو ﷺ وإن كان جمع بين الانتقام عن بعض حقه وبين الصبر عن بعضه لكن لما كان المطلوب منه الكمال المناسب لمرتبته من الصديقية ما استحسنه ﷺ. كذا في المرقاة.

(٢) أوجدت علي:أي أغضبت على لما رددت عليه؟ همزة الاستفهام، يقال: وجد عليه أي غضب.

(٣) أي نزل ملك من السماء يكذب الرجل الذي وقع بك وآذاك،ويجيب عنك.

(٤) وقع الشيطان، أي حضر الشيطان وطلع الملك، والشيطان إنما يأمر بالفحشاء والمنكر، فَخفتُ عليك أن تتعدي على خصمك وترجع ظالما بعد أن كنت مظلوما.
وفي الحديث من الفوائد أن من ترك الانتصار من الخصم لله تكفل الله بأمره ورد عنه وحفظه وأجزل له العطاء.

(٥) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في الانتصار حديث رقم ٤٤٨٦ ج٤ ص٣٥.

١٧٣- أعظم بهذا الوفاء

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَمْسَاءِ ﷺ [١] قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَيْعٍ[٢] قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ[٣] فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاثٍ فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ[٤]. فَقَالَ: يَا فَتَى: لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ[٥] أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلاثٍ أَنْتَظِرُكَ [٦]. رواه أبو داود بسند صالح[٧].

---

(١) هو عبد الله بن أبي الحمساء العامري له صحبة سكن البصرة، وقيل مصر. له حديث واحد يختلف في إسناده، رواه أبو داود.

(٢) أي: اشتريت منه شيئا.

(٣) أي بقيت لرسول الله ﷺ بقية، أي: شيء من ثمن ذلك البيع.

(٤) الضمير للنبي ﷺ أو للبيع أي في ذلك المكان، أو في مكانه الموعود .

(٥) لقد شققت علي:أي أوقعت المشقة علي.

(٦) كان انتظاره ﷺ لصدق وعده لا لقبض ثمنه ، قال النووي: أجمعوا على أن من وعد إنسانا شيئا ليس بمنهي عنه فينبغي أن يفي بوعده،وهل ذلك واجب أو مستحب؟ فيه خلاف. ذهب الشافعي وأبو حنيفة والجمهور إلي أنه مستحب فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة شديدة ولا يأثم يعني من حيث هو خلف،وإن كان يأثم إن قصد به الأذى.

وذهب جماعة إلى أنه واجب، منهم: عمر بن عبد العزيز.

وذهب بعضهم إلى التفصيل، ويؤيد الوجه الأول ما أورده في الإحياء حيث قال: وكان ﷺ إذا وعد وعدا قال عسى،وقال ابن مسعود: لا يعد وعدا إلا ويقول: "إن شاء الله تعالى" وهو الأول ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يفي به فهذا هو النفاق.

(٧) سنن أبي داود كتاب الأدب باب العدة رقم ٤٩٨٦ جـ٤ .

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: إِذَا وَعَدَ الرَّجُلُ أَخَاهُ وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ يَفِيَ فَلَمْ يَفِ، وَلَمْ يَجِئْ لِلْمِيعَادِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ[١].

رواه أبو داود والترمذي بسند صالح[٢].

---

(١) ولم يجيء للميعاد لعذر كنسيان أو مرض فلا إثم عليه، ومفهومه:أن من وعد وليس نيته أن يفي فعليه الإثم، سواء وفّى به أو لم يف فإنه من أخلاق المنافقين، ولا تعرُّض له فيه لمن وعد ونيته أن يفي ولم يف بغير عذر فلا دليل كما قيل من أنه دل على أن الوفاء بالوعد ليس بواجب، إذ هو أمر مسكوت عنه لكنه من علامات أهل الإيمان .
قال في اللمعات: فيه دليل على أن الوفاء بالوعد ليس بواجب شرعي، بل هو من مكارم الأخلاق بعد أن كان نيته الوفاء، وأما جعل الخلف في الوعد من علامات النفاق، فمعناه الوعد على نيته الخلف، وقيل الخلف في الوعد ومن غير مانع حرام، وهو المراد ها هنا. وكان الوفاء بالوعد مأمورا به في الشرائع السابقة، قال ابن العربي: وإذا وعد وهو ينوى أن يفي فلا يضره إن قطع به عن الوفاء قاطع كان من غير كسب فيه للموجود.

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في العدة رقم ٤٩٨٥ جـ٤ ، تحفة الأحوذي كتاب الإيمان باب ١٤ ما جاء في علامة النفاق رقم ٢٦٣٣ جـ٥ ص٧٢.

وقال شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث :

الوفا بالوعد والأمانة

وإذا وعدت فأوفين وعهده ... لا تنقضن فكم به وصاكا
أوفوا بعهد الله يوف بعهدكم ... واستمسكوا بعقوده استمساكا
والناس مذ كانوا معونة بعضهم ... حُقّت لبعض والطريق وفاكا
واحفظ أمانته تفوز بحفظه ... وتكون في الدارين ما أعلاكا
واعمل بها في حق نفسك والورى ... وحقوق خالقك الذي سواكا
مدعاة كل تعاون وتقدم ... وفضيلة وبها تنال رجاكا
ما كان إيمان بغير أمانة ... وقضى الفلاح لأهلها مولاكا

١٧٤- النبي ﷺ والأعرابي الذي جذبه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ثم قام فَقُمْنَا فَنَظَرْنَا إِلَى أَعْرَابِيٌّ قَدْ أَدْرَكَهُ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ(١) وَكَانَ رِدَاءً خَشِنًا فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ الأَعْرَابِيُّ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ فَإِنَّكَ لا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا(٢) وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ(٣) لا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ- لا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِنْ جَبْذَتِكَ الَّتِي جَبَذْتَنِي(٤) فَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ الأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لا أُقِيدُكَهَا(٥). فلما سمعنا قول الأعرابي أقبلنا إليه سراعاً- فالتفت إلينا النبيُّ ﷺ فقال:

---

(١) فجبذه:أي جذب طرف الرداء الخشن فأثر في رقبة النبي ﷺ حتي احمر الجلد من شدة الجذبة، وهذا من عادة جفاة العرب، وخشونتهم، وعدم تهذيب أخلاقهم.

(٢) لا:أي لا أحمل لك من مالي .

(٣) قوله " وأستغفر الله": أي وأستغفر الله إن كان الأمر على خلاف ذلك. قال السيوطي هذا (أي ذكر الواو) من حسن العبارة لأن حذف الواو يوهم نفي الاستغفار.وقال الفخر الرازي: روي عن أبي بكر الصديق أنه دخل السوق فقال لبياع: أتبيع هذا الثوب، فقال:لا عافاك الله. فقال أبو بكر: لو علمتم قل لا وعافاك الله، وهذا من لطائف النحو؛ لأنه عند حذفها يوهم كونه دعاء وعند ذكر الواو لا يبقي ذلك الاحتمال .

(٤) أي حتى تمكنني من أن أعمل بك كما عملت بي ليبين له الحكم، وإلا فهو ﷺ من شأنه العفو والصفح..

(٥) قوله " والله لا أقيدكها ":أي الجبذة. قال العلامة أبو الطيب: وكأنه أراد لكمال كرمه ﷺ أنه يعفو البتة

عزمتُ على من سَمِعَ كلامي ألاَّ يبرحَ مكانَهُ حتى آذَنَ له، ثُمَّ دَعَا رَجُلا فَقَالَ لَهُ: احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرَيْه هَذَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا وَعَلَى الآخَرِ تَمْرًا[1] ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا ثم قَالَ: انْصَرِفُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى[2]. رواه أبو داود والشيخان[3].

---

(١) أي أمر رجلا أن يعطيه حمل بعير من الشعير وحمل بعير آخر من التمر كطلبه، فقد أحسن ﷺ إلى من أساء إليه وزاد في الإحسان .

(٢) أي دعا رسول الله ﷺ لهم.
وفي الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحلمه وصفحه وزهده وكرمه.
قال صاحب التاج. الحديث: يبين كيف كان النبي ﷺ فى الهيئة الاجتماعية مع خلق الله من كظم الغيظ، والصبر وتحمل الأذي، والحلم علي الجاهل، وترك مجازاته والصفح عن المسيء بل والإحسان إليه بأكبر إحسان كما قال تعالى: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فصلت / ٣٤.

(٣) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم رقم ٣١٤٩.
صحيح مسلم شرح النووي كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة رقم ١٠٥٧ .
سنن أبي داود كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي رقم ٤٧٦٥.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب:

صبرت فنلت بالصبر الوفيرا ... ويوم الفتح أنقذت الكثيرا
ومن عاداك عاد لك الظهيرا ... فسبحان المقدر ما يشاء

ضربت بسيف صفحك من أساءوا ... فولّى من قلوبهم العداء
وحل محله فيها الصفاء ... فكلهمو فدىً لك أوفياء

١٧٥- ما أكرم الأنصار

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ- أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً[(١)] مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ[(٢)] لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ[(٣)] وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأ[(٤)] حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ[(٥)]. رواه الترمذي وأبو داود بسند صحيح[(٦)].

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ[(٧)].

رواه الترمذي وابن حبان بسند صحيح[(٨)].

---

(١) البذل: العطاء والجود، و المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها المؤاساة فقلبت همزتها واوا تخفيفا.

(٢) نزلنا بين أظهرهم:وهم الأنصار أحسنوا مواساة المهاجرين وبذلوا لهم كثيرا مع قلة حالهم.قال ابن العربي: معناه أنّ ظهراً منهم قدامهم، وظهراً منهم وراءهم ، فهم مكتنفون من جوانبهم،وقد استعمل في الإقامة بين القوم مطلقا.

(٣) بأن أعطونا من أموالهم وأرضهم نزرعها ونقتات منها معهم . و المؤنة: النفقة، وما يحتاجه الإنسان من طعام وغذاء.

(٤) أشركونا في المهنأ: محل الهنأة والسرور وهو النساء، فإن كان تحته امرأتان طلق إحداهما وتزوجها المهاجري.

(٥) معناه: إذا فعلتم ذلك ودعوتم لهم يكون الأجر بينكم فيتساوى البذل بالدعاء.

(٦) تحفة الأحوذي كتاب الرقائق حديث رقم ٢٤٨٧ جـ٥ ص٢٢٠.
سنن أبي داود كتاب الأدب باب في شكر المعروف رقم ٤٨٠٢، التاج ج٥ص٦٨

(٧) لأنه طلب من الله أن يكافئه نيابة عنه لعجزه ولا شك أن مكافأة الله أعظم من مكافأة العبد.

(٨) تحفة الأحوذي كتاب البر والصلة باب في الثناء بالمعروف حديث رقم ٢٠٣٥ ، سنن ابن حبان حديث رقم ٣٤١٣.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حِكَم شاعر الرسول ﷺ:

وإذا حُبيتَ هدية فاشكر لمــن ... أَهْدَى وبُشَّ له وأبد ســرورا
وإذا قويت على الجزاء فجازه ... أو فــادعون وأثــنين كــثيرا
واحذر من الأطماع في أمثالهــا ... ومن الخضوع له وقيت شرورا

ويقول ﷺ في ديوان الخطيب:

مـــن جـــاءني بهديـــة ... كافأتـــــه في قــــدرتي
وإذا عجـــزت فمـــن يُكـــا ... فئْــــه عظــــيمُ القـــدرة

١٧٦ – أخوكَ البكريُّ فلا تأمَنْهُ[١]

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْغَفْوَاءِ الْخُزَاعِيِّ ﷺ قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَنِي بِمَالٍ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ يَقْسِمُهُ فِي قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ بَعْدَ الْفَتْحِ[٢]. فَقَالَ: الْتَمِسْ صَاحِبًا[٣]، فَجَاءَنِي عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ الْخُرُوجَ وَتَلْتَمِسُ صَاحِبًا. قُلْتُ: أَجَلْ. قَالَ: فَأَنَا لَكَ صَاحِبٌ، قَالَ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: قَدْ وَجَدْتُ صَاحِبًا. قَالَ: فَقَالَ: مَنْ؟ قُلْتُ: عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ. قَالَ: إِذَا هَبَطْتَ بلادَ قَوْمِه[٤] فَاحْذَرْهُ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ: الْقَائِلُ: أَخُوكَ الْبِكْرِيُّ فَلا تَأْمَنْهُ. فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالأَبْوَاءِ[٥] قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ حَاجَةً إِلَى قَوْمِي بِوَدَّانَ[٦]

---

(١) البكري بكسر الباء أول ولد لأبوين: أي أخوك شقيقك احذره فلا تأمنه فضلا عن الأجنبي، والقصد التحذير من الناس حتى الأقارب قال الخطابي: هذا مثل مشهور للعرب وفيه إثبات الحذر واستعمال سوء الظن ،وأن ذلك إذا كان علي وجه طلب السلامة من شر الناس لم يأثم به صاحبه.

(٢) يتألفهم ويواسي فقراءهم بذلك .

(٣) أي رفيقا لأجل السفر .

(٤) إذا هبطت بلاد قومه :أي نزلت بلاد قومه،فالضمير لعمرو بن أمية .

(٥) الأبواء. قال ابن الأثير: جبل بين مكة والمدينة عنده بلد ينسب إليه ، وفي مرصد الاطلاع: الأبواء قرية من أعمال الغرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ٢٣ ميل، وقيل جبل عن يمين المتجه إلي مكة من المدينة .

(٦) ودان: قرية جامعة بجوار الجحفة فيها قومه، وهو يريد إعلامهم بالمال الذي مع صاحبه.

فَتَلَبَّثْ(١) لِي، قُلْتُ: رَاشِدًا(٢) فَلَمَّا وَلَّى تذكرْتُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَشَدَدْتُ عَلَى بَعِيرِي(٣) أُوضِعُهُ(٤) حَتَّى خَرَجْتُ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالأَصَافِرِ(٥) إِذَا هُوَ يُعَارِضُنِي فِي رَهْطٍ(٦) فَأَوْضَعْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي قَدْ فُتُّهُ انْصَرَفُوا(٧) وَجَاءَنِي فَقَالَ: قد كَانَتْ لِي إِلَى قَوْمِي حَاجَةٌ. قُلْتُ:

---

(١) تلبث لي: أي امكث وقفْ تنتظرني هنا.

(٢) قلت راشدا: أي سر راشدا ، قال في المصباح:الرشد الصلاح، وهو خلاف الغي والضلال وهو إصابة الصواب.

(٣) فشددت علي بعيري:أي أسرعت السير راكبا علي بعيري حتى خرجت من الأبواء.

(٤) أوضعه: من الإيضاع أي أُسْرِع البعير وأحمله علي العدو. قال الخطابي: الإيضاع الإسراع في السير، والجملة حال من ضمير خَرَجْتُ أي حتى خرجت من الأبواء مسرعا بعيري وحاملا إياه علي العدْو .

(٥) الأصافر:جمع أصفر ثنايا سلكها النبي ﷺ في طريقه إلي بدر،وقيل الأصافر: جبال مجموعة تسمي بهذا .

(٦) "إذ هو يعارض في رهط":أي من قومه لأخذ المال مني، فأسرعت براحلتي فسبقتهم.قال ابن منظور:عارض الشئ بالشئ معارضة: قابله،والمعني:حتى إذا وصلت بالأصافر إذا عمرو بن أمية موجود حال كونه يقابلني ويباريني؛ ليقطع الطريق؛ ويأخذ المال الذي معي، والرهط: عدد يجمع من ثلاثة إلي عشرة ، وقيل الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة .

(٧) المعني:لما رأي عمرو بن أمية ورهطُه أني تجاوزت عنهم، ويئسوا مما أرادوا رجعوا.

أَجَلْ(١) وَمَضَيْنَا حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ فَدَفَعْتُ الْمَالَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ(٢)

رواه أبو داود بسند صالح(٣).

---

(١) إنما قال عمرو بن أمية هذا لئلا يطلع عمرو بن الغفواء علي ما أراد من قطع الطريق وأخذ المال، ولكن قد كان هو مطلعا علي هذا من قبل، لقوله ﷺ :"إذا هبطت بلاد قومه فاحذره"،إنما قال هذا علي حسب الظاهر، وإلا فقد كان واقفا علي ما ذهب عمرو بن أمية إلي قومه لأجله .

قال صاحب التاج:وهذا الذي ظهر من عمرو كان في أول إسلامه، وإلا فقد كان أخيرا من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم .

(٢) أي كما أمرني الرسول ﷺ ، والحاصل: أنه لا ينبغي أن يعتمد حق الاعتماد في السفر علي كل أحد من الناس؛ لأن النية قد تتبدل بأدنى أحوال،وتتغير بأقل شيء، فلا يعتبر بها ،بل لا بد لكل عابر سبيل أن يراعي حاله ويحفظ متاعه ولا يتكل علي غيره. وفي هذه النصوص طلب الحذر والتيقظ في أمور الدنيا والآخرة ليسلم ويسعد ويغنم.

(٣) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في الحذر من الناس رقم ٤٨٥١ جـ٤ .

التاج الجامع للأصول جـ٥ ص٧١.

١٧٧- الدالُّ على الخيرِ كفاعله

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُبْدِعَ بِي(١) فَاحْمِلْنِي(٢). قَالَ: لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكَ عَلَيْهِ، وَلَكِنِ ائْتِ فُلانًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَحْمِلَكَ فَأَتَاهُ فَحَمَلَهُ(٣)، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِله(٤). رواه الأربعة(٥).

---

(١) أبدع بي: بصيغة المجهول أي انقطع بي السبيل لموت الراحلة، أو ضعفها، ومعناه: هلك فرسي. يقال لمن هلكت فرسه وكل ركابه وبقي مقطوعا بدع به.

(٢) معناه: أعطني ما أحمل عليه رحلي وأتحمل عليه .

(٣) أعطاه راحلة يركبها .

(٤) المعنى: أن للدال على الخير ثوابا كما أن لفاعل الخير ثوابا ولا يلزم أن يكونا متساويين، وذهب بعض الأئمة إلي أن المثل المذكور إنما هو بغير تضعيف، وقال القرطبي: إنه مثله سواء في القدر والتضعيف؛ لأن الثواب علي الأعمال إنما هو بفضل الله تعالى، يهبه لمن يشاء علي أي شيء صدر منه خصوصا إذا صحت النية التي هي أصل الأعمال في طاعة عجز عن فعلها لمانع منع منها، فلا بُعْد في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر والفاعل أو يزيد عليه. فالمتسبب في أي خير بالعلم أو العمل له ثواب كثواب فاعله على ما يشاؤه الله عز وجل. ومنه يؤخذ أن من عجز عن تقديم المعونة لصاحبه فيستحب له أن يدله على من يقدم له العون فإن فيه خيراً له.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله رقم ١٨٩٣ ، تحفة الأحوذي كتاب العلم باب الدال علي الخير كفاعله رقم ٢٦٧١ ،سنن أبي داود كتاب الأدب رقم ٥١١٨. التاج جـ٥ ص٧٤.

١٧٨- للسائل حقٌّ

عَنْ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ سَائِلٌ لابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلَه فَقَالَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ: أَتَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَتَصُومُ رَمَضَانَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَأَلْتَ، وَلِلسَّائِلِ حَقٌّ(١)، إِنَّهُ لَحَقٌّ عَلَيْنَا أَنْ نَصِلَكَ فَأَعْطَاهُ ثَوْبًا وقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَـلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا إِلا كَانَ فِي حِفْظِ اللَّهِ مَا دَامَ مِنْهُ عَلَيْـهِ خِرْقَةٌ(٢) . رواه الترمذي في الرقائق بسند صحيح(٣).

---

(١) حق: أي حق مطلق بما أراق من ماء وجهه .

(٢) أي كسا مسلما لله تعالى. ما دام منه عليه خرقة: ما دام على السائل من الثوب الذي كسى به قطعة منه. وفي قصة ابن عباس مع السائل نرى ابن عباس سـأل الرجل عن الشهادتين والصيام التزاماً بما سمعه في نص الحديث الذي رواه عـن الرسول ﷺ في قوله: " ما من مسلم كسا مسلما ثوبا " ، وفي هذا ما يدل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على المواءمة بين الفعل والسماع.

(٣) تحفة الأحوذي كتاب الرقائق رقم ٢٤٨٤ جـ٥ ص٢١٨.

١٧٩- المحبوبُ، والمُبْغَضُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ[١] عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ[٢] قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ[٣] ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ[٤]: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أهل الأَرْضِ[٥]، وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ

---

(١) محبة الله للعبد إرادته الخير له أو إيصال الخير إليه أما المحبة بمعني الميل فمحال على الله.

(٢) قوله "إني أحب فلانا فأحبه":قال المازري: إعلام لله سبحانه وأمره الملائكة بذلك تنويه به وتشريف له في ذلك الملأ الكريم وهو من نحو قوله تعالى"أنا مع عبدي إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ،وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم".

(٣) قال القاضي عياض:محبة جبريل تحمل علي حقيقتها من الميل للعبد بسبب طاعته لله عز وجل، ويجوز أن يريد بها ثناءه عليه واستغفاره له، لذا قال العيني : وكذا محبة الملائكة، وذلك بالاستغفار والدعاء لهم ونحوه.

(٤) أي جبريل .

(٥) أي الحب في قلوب الناس والرضا به قال تعالي ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ آل عمران ٣٧ .ويُعلم منه أن من كان مقبول القلوب مقبول لله عز وجل. قال العيني:وقيل يوضع له القبول عند الصالحين ليس عند جميع الخلق، والذي يوضع له بعد موته أكثر منه في حياته.

ويؤخذ منه: الحث علي توفية أعمال الطاعات علي اختلاف أنواعها فرضها وسنتها.

السَّمَاء إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ[١].

رواه الشيخان والترمذي[٢].

---

(١) وبغض الله لعبده إرادة عقابه أو شقاوته، ويؤخذ منه أيضا: كثرة التحذير من المعاصي والبدع لأنها مظنة السخط.
قال صاحب التاج: محبة الله لعبده: رضاه عنه وهدايته له وعنايته به وإتمامه عليه بمحبة الناس له في الدنيا ورفيع الدرجات في الآخرة، وبغضه لعبده سخطه عليه وكراهة الخلق له في الدنيا وشدة عقابه في الآخرة. ومحبة الملائكة للعبد: استغفارهم له وثناؤهم عليه، وبغضهم له: عدم استغفارهم له وعدم ثنائهم عليه. ومحبة الناس للعبد: عطفهم وثناؤهم عليه، وبغضهم للعبد: كراهتهم له وذمه. وفيه أن محبة الناس للعبد أو بغضهم له من محبة الله أو بغضه، كما قيل ألسنة الخلق أقلام الحق.

(٢) عمدة القاري كتاب التوحيد حديث رقم ٧٤٨٥ جـ٢٥ ص ٢٣٣ .
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة باب إذا أحب الله عبدا حببه إلي عباده رقم ٢٦٣٧. التاج الجامع للأصول جـ٥ ص ٧٩ .

١٨٠- أنت مع من أحببت

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا[١]؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ وَلا صَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ[٢] وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ[٣].

---

(١) ما أعددت لها: أي ما هيأت للساعة واستعددت لها . قال الطيبي: سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم ؛ لأنه سأل عن وقت الساعة وأجاب بقوله: ما أعددت لها يعني إنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصالحة فقال له : ما أعددت لها.

(٢) ما أعددت لها من كثير:قال النووي ما أعددت لها كثير نافلة من صلاة ولا صيام ولا صدقة وعند الأكثرين كبير بالباء يعني بكبير صلاة زائدة على الفرض. وفيه أن محبة الله تعالى ورسوله ﷺ: الاستقامة علي الطاعة وترك مخالفتها وإذا أحبه تأدب بآداب شريعته .

قال الآبي: ليس فيه ما يدل علي أن المحبة ترك المخالفة ،ولا أنه لازم المحبة،ويدل علي ذلك حديث الذي تكرر شربه الخمر وأتي به فلعنه بعض الحاضرين فزجره ﷺ وقال: لعله يحب الله ورسوله.

قال عياض: يعني من النوافل، إذ لا بد من الفرائض، ثم يحتمل إن لم يأت من ذلك بالكثير الذي يعتمد عليه لدخول الجنة، وهو الأظهر ويحتمل أنه وإن أتي بالكثير من ذلك فهو صغير بالنسبة إلي ما عند الله تعالى ورسوله ﷺ فكأنه ظهر له أن يجعل الله له ذلك أفضل القرب .

(٣) فيه فضل الله ورسوله، والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومِنْ فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية. ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم، وفيه الحث علي محبة الصالحين والأخيار واللحوق بهم والعمل على الخلاص من النار.

زَادَ فِي رواية فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ قَالَ: نَعَمْ فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا[١]

رواه الشيخان والترمذي[٢].

(١) قال الكرماني: وسبب فرحهم أن كونهم مع رسول الله ﷺ يدل على أنهم من أهل الجنة.

(٢) عمدة القاري كتاب الأحكام رقم ٧١٥٣ جـ٢٤ ص ٣٤٤ .
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر حديث رقم ٢٦٣٩ جـ٨ ص ١٨٩ .
تحفة الأحوذي كتاب الزهد حديث رقم ٣٨٥ ، جـ٩ ص ٦٧.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب في قصيدته جنة الأتقياء في مدح سيد الأنبياء ﷺ :

يا حبيبي منحتني قبلُ وصلا ... ليته عاد لي بنفسي ومالي
كلما قد ذَكَرْتُ ما كنت فيه ... بعد أن صرتُ سيِّءَ الأحوال
حن قلبي إلى الوصال وجَمَّت ... حسراتي وكدت ألقى وبالي[١]
ليس عندي من التقى غير حُبٍّ ... لحبيب جعلتُه رأس مالي
يحشر المرء والحبيبُ - مقالٌ ... من كريم أكرم به من مقال
كلنا يعشق الحبيبَ ويرجو ... بهواه الحبيبُ خير مآل

(١) الوبال: الهلاك .

١٨١- مباهاة الله الملائكة بأهل الذكر

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ على حلقة في الْمَسْجِد فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ- قَالَ: آللَّه مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ[١]؟ قَالُوا: وَاللَّه مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ- أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي[٢]- وإِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَة مِنْ أَصْحَابِه فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ على مَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ وَمَنَّ بِه عَلَيْنَا. قَالَ: آللَّه مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ. قَالُوا: واللَّه مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ[٣] ولكنه أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلائِكَةَ[٤].

رواه مسلم والترمذي [٥].

---

(١) أي والله ما أجلسكم إلا ذكر الله تعالي؟ .

(٢) فمع قرب منزلته من النبي ﷺ لكونه أخا أم حبيبة أم المؤمنين — رضي الله عنها- وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ ومع كل هذا كان حديثه عنه قليلا. وقد ذكر ابن حزم في أسماء الصحابة الرواة أنه روى ١٦٣ حديثاً فقط.

(٣) قال الآبي: أما استحلاف معاوية لهم فهو اتباع لرسول الله ﷺ ،وأما استحلاف النبي ﷺ لهم مع أنه علم ذلك من إخبار جبريل عليه السلام له فيحتمل أنه سرور بهم.

(٤) أي يثني عليهم ويظهر فضله لديهم، وأصل البهاء الحسن والجمال وفلان يباهي بماله وآله أي يفتخر بهم ويتجمل ، والحديث يبين أن الاجتماع على طاعة الله مشروع، بل من أفضل القربات إلي الله تعالى، لأنه موجب لثناء الله عليهم ومفاخرته بهم عند الملائكة، وما أعلاها شأنا وأعظمها قدرا حيث كانت بين الله والملأ الأعلى .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء باب استحباب الاستغفار رقم ٢٧٢.
تحفة الأحوذي كتاب الدعاء باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله حديث رقم ٣٣٧٩ جـ١٢ ص ١٩٧ التاج الجامع للأصول جـ٥ ص٨٨.

١٨٢- حَنْظَلَةُ الأُسَيْدِيُّ

عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيْدِيِّ(١) ﷺ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قلت يَا رَسُولَ اللَّه: نَافَقَ حَنْظَلَةُ(٢).قال: وما ذاك؟ قلت: يَا رَسُولَ اللَّه نَكُونُ عنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّة حتى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإذَا خرجنا من عنْدكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ والأولادَ وَالضَّيْعَاتِ(٣) نسينا كَثيرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: والذي نفسي بِيَدِهِ إن لَوْ تَدُومُونَ عَلَى ما تكونونَ عنْدي، وفي الذِّكر(٤) لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائكَةُ (٥) عَلَى فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً

(١) حنظلة الأسيدي:منسوب إلى بني أسيد بطن من تميم .

(٢) قوله "نافق حنظلة":إنكار منه علي نفسه، لما وجد منها في خلوتها خلاف ما يظهر منه بحضرته ﷺ خوف أن يكون ذلك من أنواع النفاق أراد من نفسه أن يستديم تلك الحالة التي يجدها عند موعظته ولا يشتغل عنها بشيء .

(٣) عافسنا:أي عالجنا،و الضيعات جمع ضيعه وهى العقار والحرفة كالزراعة والتجارة والصناعة سميت بهذا لأنه يضيع بتركها،ومعناه أنهم إذا خرجوا من عنده ﷺ اشتغلوا بهذه الأمور وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا عليها.

(٤) هذا يفيد أنه وَقَفَ مصافحة الملائكة عليهم السلام علي أمرين هما رؤية الجنة والنار ودوام الذكر، فإذا الجنة لم يحجبه ما شاهد من حسنها ونعيمها عن رؤية الله تعالى، بل لا يلتفت إليها من حيث كونها جنة، بل من حيث إنها محل القرب من الله تعالى ومحل رؤيته، ومن كان كذلك ناسب الملائكة عليهم السلام في معرفتها فبادرت إلي إكرامه ومصافحته ومهابته وإعظامه.

(٥) أي صافحتكم في كل وقت وفي كل حال لو دمتم على الحال الذي تكونون عليها عندي.

وَسَاعَةً[١]. ثلاث مرات .

رواه مسلم الترمذي[٢].

---

(١) قوله "ولكن يا حنظلة ساعة وساعة" قال السنوسي:هو استدراك وتقرير للحالة التي كان عليها حنظلة، ومن ثم ناداه باسمه تنبيها علي أنه كان ثابتا علي الطريق المستقيم، وما نافق حنظلة، ومنه يؤخذ أن الاشتغال بالأهل والأولاد لا يضر؛ لأنه لم يمنعه من فرائض الله .

قال القرطبي: سنة الله تعالى في عالم الإنسان أن فعله متوسط بين عالم الملائكة وعالم الشياطين،فمكن الملائكة في الخير بحيث يفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومكن الشياطين في الشر والإغواء بحيث لا يغفلون،وجعل عالم الإنسان متلونا، وإليه أشار صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه بقوله "ولكن يا حنظلة ساعة وساعة" وقال في حديث أبي ذر "وعلي العاقل أن تكون له ساعة يناجي فيها ربه،وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة حديث رقم ٢٧٥٠ جـ٩ .

تحفة الأحوذي،كتاب صفة القيامة والرقائق رقم ٢٥١٤ جـ٩ ص ٢٣٣ التاج الجامع للأصول جـ٥ ص ٨٩.

١٨٣ - الدعاء الواقي

عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِيه رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّه الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمه شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّات لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بلاءٍ[١] حَتَّى يُمْسِيَ. قَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ الْفَالِجُ[٢] فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذي سَمِعَ عنه الْحَديثَ يَنْظُرُ إِلَيْه. فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ[٣] فَوَاللَّه مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ وَلا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَلَكِنِ الْيَوْمَ الَّذي أَصَابَنِي فِيه مَا أَصَابَنِي[٤] غَضِبْتُ، فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا.

رواه أصحاب السنن[٥]

---

(١) قال في مختصر النهاية فجأة الأمر: وفاجأه مفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب.

(٢) الفالج:استرخاء لأحد شقي البدن لانصباب خلط دموي يبطل حركته وإحساسه.

(٣) ما لك تنظر إلي: أي ما سبب نظرك إليّ نظر التعجب أو الشاك مع صدقي وصدق أبي فيما رويناه من الحديث .

(٤) أي ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني من المرض غضبت علي أحد من أهل بيتي أو غيرهم، فشغلني ذلك عن أن أقولها. ومنه يؤخذ أهمية الذكر والدعاء في دفع البلاء. وكذا توقّي الغضب فإنه يُنسي ذكر الله.

(٥) سنن أبي داود كتاب الأدب ما يقول إذا أصبح رقم ٥٠٧٧ جـ٤.
تحفة الأحوذي كتاب الدعاء باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح رقم ٣٨٦٩ جـ٤ ص ٢٨٤ دار المعرفة. التاج الجامع للأصول جـ٥ ص ١٠٦.

١٨٤- دَواءُ الأرق والفزع

شَكَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ ﷺ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنَ الأَرَقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَـــا أَظَلَّـــتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ(١)، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ(٢) كُنْ لِي جَارًا مِـــنْ شَـــرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ (٣) أَوْ أَنْ يَبْغِيَ عليَّ، عَزَّ جَـــارُكَ(٤)، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ولا إِلَهَ إِلا أَنْتَ . رواه الترمذي(٥).

---

(١) أي رب السموات وما تحتها والأرضيين وما حملته فوقها، قال تعالى: " حتى إذا أقلت سحابا ثقالا " أي حملت .

(٢) وما أغوته وأبعدته عن الهداية .

(٣) فرط عليه يفرط : أسرف وتقدم عليه .

(٤) أي صار عزيزاً من لجأ إليك وتوكل عليك . فلا يضره شيء من طوارق الأذى وتطمئن نفسه بجوار الله فيذهب عنه القلق والخوف.

(٥) تحفة الأحوذي كتاب الدعاء باب ٩٠ حديث رقم ٣٥٢٣ جـــ١٣ ص٤٦.

١٨٥- دواؤهما أيضا

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنهم أَنَّ رَسُولَ اللَّــه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّه التَّامَّاتِ[١] مِنْ غَضَبِه وَعِقَابِه، وَشَرِّ عِبَادِه، وَمِــنْ هَمَــزَاتِ الشَّــيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ[٢]. قال وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍو يُعَلِّمُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَــدِه، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ وعَلَّقَهَا فِي عُنُقِه [٣].

رواه أصحاب السنن[٤].

---

(١) التامات: جمع تامة،والتامة صفة لازمة إذ كل كلماته تامة،وقيل المراد بها الكاملة مثل النافعة،وقيل الشافية وقيل غير ذلك.

(٢) أي لا تضره الشياطين بوسوستها. فإن غَالِب الخوف والفزع وأضغاث الأحلام من الشياطين، وينفع منها قراءة هذه الكلمات قبل النوم.

(٣) وكان عبد الله بن عمرو راوي الحديث يأمر من بلغ من أولاده بقراءتها قبل نومه ويكتبها في شيء ويعلقها على الصغير منهم ثقة فيما روى، وحرصاً على عــدم فزع أحدهم، وحفظا لهم مما أمر الرسول ﷺ من الاستعاذة منه .

(٤) تحفة الأحوذي كتاب الدعاء باب ٩٣ رقم ٣٥٢٨ جـــ١٣ ص ٤٨ التــاج جــ٥ ص ١٣٧.

١٨٦- دواء الدَّين

قَالَ أبو سَعيد[١] ﷺ: دَخَلَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبو أُمَامَةَ. فَقَالَ يَا أَبَا أُمَامَةَ: مَا لِي أَرَاكَ جَالسًا فِي الْمَسْجِد فِي غَيْرِ وَقْت صلاة؟ قَالَ هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ[٢] يا رَسُولَ اللّه- قَالَ: أَفلا أُعَلِّمُكَ كَلامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللّه. قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَة الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ. قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي[٣].

رواه أبو داود[٤].

---

(١) أبو سعيد الخدري.

(٢) جمع هم أي: هموم عظيمة لا يقدر قدرها، وديون جمة أنهكتني وأثقلتني .

(٣) أي ببركة هذا الدعاء، فتلاوته صباحا ومساء تنفع لسداد الدين والمدار في ذلك علي قوة اليقين، والإخلاص وحسن التوكل.

(٤) سنن أبي داود كتاب الصلاة تفريع أبواب الوتر رقم ١٥٥٢ ، التاج جـ٥ ص ١٣٨.

١٨٧- دواء للدَّين أيضاً

عَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَــزْتُ عَــنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي. قَالَ أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَات عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْــه وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ ثبيرٍ(١) دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ- قُلِ اللَّهُمَّ اكْفِنــي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ(٢).

رواه الترمذي بسند حسن(٣).

---

(١) ثبير: جبل بمكة، وهو الذي صعد فيه النبي ﷺ فرجف به فقال: اسكن ثبير فإنمــا عليك نبي وصديق وشهيد. قاله البكري في معجم مااستعجم من أسماء الــبلاد والمواضع. ج ١ ص ٣٣٥.

(٢) فيه طلب الكفاية من الحلال والغني عن الناس، فيلزمه سداد الدين، وإن من كــان عليه دين ودعا بهذا الدعاء مع نيته الأداء والسعي فيه أعانه الله على سداد دينه.

(٣) تحفة الأحوذي كتاب الدعاء رقم ٣٥٦٣ جــ١٣ ص ٦٤ التــاج الجــامع للأصول جــ٥ ص ١٣٨.

١٨٨- القرآن ودعاء الحفظ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يا رسول الله تَفَلَّتَ[١] هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ صَدْرِي فَمَا أَجِدُنِي أَقْدِرُ عَلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! أَفَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ وَيَنْفَعُ بِهِنَّ مَنْ عَلَّمْتَهُ وَيُثَبِّتُ مَا تَعَلَّمْتَ فِي صَدْرِكَ؟ قَالَ: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلِّمْنِي[٢]. قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ[٣] فَإِنَّهَا سَاعَةٌ مَشْهُودَةٌ وَالدُّعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ، وَقَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي)[٤]. يَقُولُ: حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمْعَةِ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقُمْ فِي وَسَطِهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقُمْ فِي أَوَّلِهَا، فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، تَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةِ يس، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَحم الدُّخَانِ، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَالم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ وَفِي الرَّكْعَةِ الرَّابِعَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَتَبَارَكَ الْمُفَصَّلِ[٥]. فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ التَّشَهُّدِ[٦] فَاحْمَدِ اللَّهَ وَأَحْسِنِ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ، وَصَلِّ عَلَيَّ وَأَحْسِنْ، وَعَلَى

---

(١) تفلت أي: فرَّ منِّي بعض آياته فلا أقدر علي ضبطها.

(٢) أي نعم يا رسول الله علمني .

(٣) جواب الشرط تقديره : فقم فيه .

(٤) وذلك حينما قالوا له: ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إن كنا خاطئين﴾ يوسف/٩٧.

(٥) يعني سورة الملك وهذا احتراز من سورة الفرقان .

(٦) أي وقبل السلام، فاحمد الله، وأحسن الثناء إلي آخره، أو المراد إذا سلمت، وهذا هو الظاهر؛ لأن الدعاء يستجاب عقب الصلاة،ولأنه في صلاة مادام في مصلاه.

سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَاسْتَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلإِخْوَانِكَ الَّذِينَ سَبَقُوكَ بِالإِيمَانِ، ثُمَّ قُلْ فِي آخِرِ ذَلِكَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِتَرْكِ الْمَعَاصِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي، وَارْحَمْنِي أَنْ أَتَكَلَّفَ مَا لا يَعْنِينِي، وَارْزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي. اللَّهُمَّ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ وَالْعِزَّةِ الَّتِي لا تُرَامُ[١] أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ يَا رَحْمَنُ بِجَلالِكَ وَنُورِ وَجْهِكَ- أَنْ تُلْزِمَ قَلْبِي حِفْظَ كِتَابِكَ كَمَا عَلَّمْتَنِي، وَارْزُقْنِي أَنْ أَتْلُوَهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنِّي. اللَّهُمَّ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لا تُرَامُ أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ يَا رَحْمَنُ بِجَلالِكَ وَنُورِ وَجْهِكَ أَنْ تُنَوِّرَ بِكِتَابِكَ بَصَرِي وَأَنْ تُطْلِقَ بِهِ لِسَانِي، وَأَنْ تُفَرِّجَ بِهِ عَنْ قَلْبِي وَأَنْ تَشْرَحَ بِهِ صَدْرِي، وَأَنْ تُعْمِلَ بِهِ بَدَنِي لأَنَّهُ لا يُعِينُنِي عَلَى الْحَقِّ غَيْرُكَ، وَلا يُؤْتِيهِ إِلا أَنْتَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. يَا أَبَا الْحَسَنِ فَافْعَلْ ذَلِكَ ثَلاثَ جُمَعٍ أَوْ خَمْسَ أَوْ سَبْعَ تُجَابُ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأَ مُؤْمِنًا قَطُّ[٢]. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ عَلِيٌّ إِلا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا حَتَّى جَاءَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ فِيمَا خَلا لا آخُذُ[٣] إِلا أَرْبَعَ آيَاتٍ أَوْ نَحْوَهُنَّ، وَإِذَا قَرَأْتُهُنَّ عَلَى نَفْسِي تَفَلَّتْنَ، وَأَنَا الْيَوْمَ أَتَعَلَّمُ أَرْبَعِينَ آيَةً أَوْ نَحْوَهَا، وَإِذَا قَرَأْتُهَا عَلَى نَفْسِي فَكَأَنَّمَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ عَيْنَيَّ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَإِذَا رَدَّدْتُهُ تَفَلَّتَ وَأَنَا الْيَوْمَ أَسْمَعُ الأَحَادِيثَ

(١) أي التي لا يصل إليها أحد.

(٢) أي ما خاب مؤمنا فعله بقلب خالص لله تعالى .

(٣) لا آخذ:أي لا أحفظ .

فَإِذَا تَحَدَّثْتُ بِهَا لَمْ أَخْرِمْ مِنْهَا حَرْفًا[١]. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: مُؤْمِنٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ يَا أَبَا الْحَسَنِ.

رواه الترمذي بإسناد حسن[٢].

---

(١) الخرم : الترك والقطع : أي ما تركت منها حرفاً أو نسيت منها شيئاً.

(٢) تحفة الأحوذي كتاب الدعاء باب في دعاء الحفظ رقم ٣٥٧٠ جـ١٣ ص ٦٧.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين:

ترنم بآي الذكر ما كنت شادياً   تلاق الرضا يا طيب النغمات
إذا كنت تبغى من ختام جميلَـةُ   فأكثر من القرآن في العتمات

ويقول ﷺ في ديوانه روضات الخطيب في قصيدته جنة الأتقياء في مدح سيد الأنبياء عن القرآن الكريم:

أيُّ عبد عليـه أُنـزل ذكـرٌ   رائعٌ معجـزٌ فِصَـاحَ الأَوالي
بَيِّنٌ فيه كـلُّ شـيء ومنـه   آخذ قَدْرَ ذهنـه كـلُّ تـالي
كل قول يُمَـلُّ بـالرد لكـن   ذاك قول بِردِّه جـدُّ حـالي
خـيرُ داعٍ لخـالق ورضـاه   خيرُ داعٍ إلى كـريم الخـلال
يُذهب الهم يَجلب العز نـورٌ   بسناه يزول داجـي الليـالي
قرةُ العينِ راحةُ القلـبِ روحٌ   منه تسرى الحياة في الأعمـال
لو أتينا بكل مـا فيـه كنـا   هامةَ الكون سـائرَ الأجيـال
بل تركنـاه خلفنـا فَتَرِكْنـا   وغدونا ملاعـب الأطفـال
في يديه مـن النجـاة حبـال   غايةُ الفوزِ شَدُّ تلك الحبـال

١٨٩ - القبَّةُ المُشْرِفة

عَنْ أَنَس بْن مَالك ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ رَأَى قُبَّةً مُشْرِفَةً[١] فَقَالَ: مَا هَذه[٢]؟ قَالوا : لفُلان الأنصاريِّ فَسَكَتَ وَحَمَلَهَا[٣] في نَفْسه حَتَّى إِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا فسلم على النبي ﷺ فأَعْرَضَ عَنْهُ، صَنَعَ ذَلكَ مرارًا حَتَّى عَرَفَ الرَّجُلُ الْغَضَبَ فيه، وَالإعْرَاضَ عَنْهُ– فَشَكَا ذَلكَ[٤] إِلَى بعض أَصْحَابه فأخبره بأمر القبة فَرَجَعَ فَهَدَمَهَا حَتَّى سَوَّاهَا بالأَرْض، فمرَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ يَرَهَا فسأل فقالوا: رأى صَاحبُهَا إعْرَاضَكَ عَنْهُ فَهَدَمَهَا. فَقَالَ: أَمَا إِنَّ كُلَّ بنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحبه إلا مَا لا[٥] إلا مَا لا، يَعْني مَا لا بُدَّ منْهُ. رواه أبو داود بسند صالح[٦].

---

(١) قبة مشرفة:أي بناءً مرتفعاً.

(٢) ما هذه:استفهام إنكاري أي ما هذه العمارة المنكرة ومن بانيها .

(٣) وحملها أي: أضمر تلك الفعلة في نفسه غضبا علي فاعلها في فعلها،ففي أساس البلاغة: حملتُ الحقد عليه. إذا أضمرتُه .

(٤) فشكا ذلك:أي ما رآه من أثر الغضب والإعراض .

(٥) إلا ما لا: أي إلا ما لا بد منه، وكرره للتأكيد. ومنه يؤخذ أن البناء لغير حاجة وإعلاءه مذموم ، قال صاحب التاج: أما إذا كان البناء وإعلاؤه لحاجة إليه للسكن أو للاستغلال والارتزاق بما جرت به عادة خيار الناس زمانا ومكانا فلا شيء فيه ، بل ربما فيه الأجر إذا احتسبه كالمباحات من أكل وشرب ولباس وسعي على عيال إذا احتسبها.

(٦) سنن أبي داود باب البناء رقم ٢٥٢٦ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حِكَم شاعر النبي ﷺ :

وما السعادة بالأموال تجمعها ... ولا بقوتها وحسنِ مبناها

وإنما هي بالأخلاق كاملةً ... توارثتها من الآباء أبناها

١٩٠- إنما الشرف بطاعة الله

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِرَجُلٍ جَالِسٍ عِنْدَهُ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ(١)؛ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ(٢) وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ(٣)فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ(٤) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ. هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ(٥). وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِن مِثْلِ هَذَا(٦).

رواه البخاري(٧).

---

(١) حريٌّ:أي حقيق وجدير .

(٢) أي لو طلب بنت أي رجل يتزوج بها لأجابه لغناه .

(٣) أي تقبل شفاعته لو توسط لأي شخص عند عظيم.

(٤) قيل هذا الرجل هو جعيل بن سراقة.

(٥) فلا يُجبْ طلبه أحد من الناس لفقره وهوانه عليهم .

(٦) قال صاحب التاج:انظر هذا وزنه، فإنه لم يقل هذا خير من عشرة أو مائة أو ألف مثله، بل قال: من ملء الأرض من مثله،ما ذاك إلا لفقره وانكسار قلبه وحضوره مع ربه في أكثر الأوقات. وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .

(٧) عمدة القاري كتاب النكاح باب الأكِفّاء في المال رقم ٥٠٩١ جـ٢٠ ص ١٢٣ التاج الجامع للأصول جـ٥ ص ١٧٢ .

١٩١- أنت من الملوك

قِيلَ لِعَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ(١)؟ فَقَالَ: أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ(٢).

رواه مسلم (٣).

---

(١) وصدر الحديث عند مسلم فيما ذكره الراوي : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما- وسأله رجل: ألسنا من فقراء المهاجرين . قال الطبري هو سؤال للتقرير وكأنه سأل شيئاً من الفيء الذي قال الله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر ٧، ٨ . واحتج فأجابه بما كره ، وأن الفقراء الذين لا أهل لهم ولا دار كما كان أهل الصفة .

(٢) قال صاحب التاج: فمن رزقه الله بيتاً يكنه ويستره ، وزوجة يأوي إليها وتؤنسه، وخادماً يقف أمامه ويخدمه فهو رفيع الكرامة كالملوك ، فعليه حمد الله تعالى وشكره.

(٣) كتاب الزهد والرقائق.

١٩٢- الآجال والأرزاق محدودة

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ(١) فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ(٢) وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ(٣)، لا يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ(٤) وَلا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ(٥) وَلَوْ

---

(١) معناه:أطل أعمارهم حتى أتمتع بهم زمانا طويلا .

(٢) واحد الآجال أجل:وهو الوقت الذي قدر موت الميت فيه .

(٣) فالأعمار محدودة، والآثار منتهية، والأرزاق لا تزيد ولا تنقص.

(٤) قبل حله: أي قبل وجوبه ،وذكره الإمام أبو عبد الله: قبل أجله .

(٥) قال المازري:الحديث نص في أن الأرزاق والآجال لا تزيد ولا تنقص، فمن علم الله أنه يموت سنة خمسمائة يستحيل أن يموت قبلها أو بعدها لأن العلم معرفة المعلوم علي ما هو به فلو مات قبلها أو بعدها لم يكن الله علم ذلك الأجل علي ما هو به، وانقلب العلم جهلا،والجهل علي الله محال،فإذا كان نصا في الآجال لا تزيد ولا تنقص عارض حديث "صلة الرحم تزيد في العمر" ويجاب بأن الأجل الذي علم عند الله سبحانه وتعالى وفي علمه لا يتغير بزيادة ولا نقص لما تقدم ، وأما علم الملك فإنه حادث، والحادث يقبل التغيير بالزيادة، و النقص،ويجوز أن يأمر الله تعالى بأجل أو يكتب له في اللوح المحفوظ ثم يزيد فيه بسبب الصلة حتى يقع الموت علي ما علم الله سبحانه في الأزل

قال الآبي:الجواب بهذا لا يرفع السؤال لأن المراد بالزيادة في العمر حقيقة وعلي هذا فليست بحقيقة، وإنما الجواب والله أعلم أن يكون كتب أجله إن لم يصل رحمه كذا ،وإن وصل فأجله كذا، فإذا وصل رحمه بلغ الأكثر والله سبحانه أعلم أيَّ ذلك يفعل.

سَأَلْت اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَك مِنْ عَذَاب فِي النَّارِ وَعَذَاب فِي الْقَبْرِ– لَكَانَ خَيْرًا لَك[١] فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّه الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ هِيَ مِمَّا مُسِخَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يُهْلِكْ قَوْمًا أو يعذب قوماً فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلاً[٢] وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ[٣] رواه مسلم[٤].

---

(١) إن قيل صرفها عن الدعاء بالزيادة في العمر لأنه قد فرغ منه وتذرع بها إلي الدعاء بالمعافاة من عذاب القبر والنار، وهذا أيضا مفروغ منه ،قيل: قد أمر الله بأعمال من الطاعات كالصلاة والصوم، ووعد بأنها تنجي من النار، والدعاء بالنجاة من النار من تلك العبادات، فكما لا يحسن ترك الصلاة اتكالا علي ما سبق من القدر فكذلك لا يترك الدعاء بالمعافاة.
قال القرطبي : لا شك أن الدعاء بالمعافاة، من النار أفضل من الدعاء بالزيادة في العمر.
قال الآبي : الحاصل من الجواب أنه إنما أمرها بالدعاء بالمعافاة من حيث كونها عبادة لا من حيث كونها دعاء ترجي إجابته.
وحاصل الجواب الثاني : أنه لم ينهها عن الدعاء بالزيادة في العمر حتى يكون مناقضا لإرشادها إلي الدعاء بالمعافاة، وإنما أرشدها إلي الأفضل،وبيان أنه أفضل؛ أن الدعاء بالمعافاة من عذاب القبر، وعذاب النار شيء تَعَبَّدَنا الله به، ولم نُتعبد بالدعاء في الزيادة في العمر.

(٢) فمن مُسخوا من بني إسرائيل لم يعيشوا بعد ثلاثة أيام بل ماتوا قبلها .

(٣) أي قبل مسخ بني إسرائيل، فدل علي أنهما ليستا من المسخ، والحاصل أن القردة والخنازير الموجودة الآن ليست من نسلهم بل كانت قبل ذلك.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القدر جـ٧باب أن الآجال والأرزاق لا تزيد الحديث رقم ٢٦٦٣ . التاج الجامع للأصول جـ٥ ص ١٩٥.

وقَالَ خَالدٌ الْحَذّاءُ ﷺ قُلْتُ للْحَسَنِ(١): يَا أَبَا سَعيد أَخْبِرْنِي! عَـنْ آدَمَ ﷺ أَللسَّمَاءِ خُلِقَ أَمْ للأَرْضِ؟ قَالَ: لا بَلْ للأَرْضِ. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَو اعْتَصَمَ فَلَمْ يَأْكُلْ منَ الشَّجَرَة. قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ منْهُ بُدٌّ(٢). قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَـنْ قَوْلـه تَعَالَى:﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْه بفَاتنينَ إلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحيمِ﴾ (٣) قَالَ: إنَّ الشَّيَاطِينَ لا يَفْتنُونَ بضَلالَتهِمْ إلا مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْه الْجَحيمَ. وسَأَلَهُ عَنْ قَوْلـه تَعَـالَى: ﴿وَلذَلكَ خَلَقَهُمْ﴾ (٤) قَالَ: خَلَقَ هَؤُلاء لهَذه وَهَؤُلاء لهَذه (٥).

رواهما أبو داود .

---

(١) الحسن البصري من أشهر التابعين .

(٢) أي لم يكن من الأكل مفر. قال صاحب التاج: حيث خُلق لـلأرض، ونزولـه إليها متوقف على الأكل من الشجرة، فكان لا بد من أكله منها حكماً ماضـياً وقضاء مبرماً .

(٣) الصافات ١٦٢ .

(٤) هود ١١٩ .

(٥) أي خلق هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار .

١٩٣- فريق في الجنة وفريق في السعير

عَنْ عَبْد اللّه بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَفِي يَده كتَابَان[١] فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَان الْكتَابَان فَقُلْنَا: لا يَا رَسُولَ اللّه إلا أَنْ تُخْبِرَنَا. فَقَالَ للّذي في يَده الْيُمْنَى هَذَا كتَابٌ منْ رَبِّ الْعَالَمينَ فيه أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّة وَأَسْمَاءُ آبَائهِمْ وَقَبَائلهِمْ ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخرهِمْ[٢] فَلا يُزَادُ فيهِمْ وَلا يُنْقَصُ منْهُمْ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ للّذي في شمَاله: هَذَا كتَابٌ منْ رَبِّ الْعَالَمينَ فيه أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائهِمْ وَقَبَائلهِمْ ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخرهِمْ فَلا يُزَادُ فيهِمْ وَلا يُنْقَصُ منْهُمْ أَبَدًا- فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللّه إنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ منْهُ؟ فَقَالَ: سَدِّدُوا[٣] وَقَارِبُوا[٤] فَإنَّ صَاحبَ

---

(١) قال صاحب التاج:هذا تمثيل للمعلوم المحقق، وتصوير له بصورة المحسوس الذي يقبض عليه باليد، ويشار إليه بالإشارة الحسية كأن الله تعالي أطلع رسوله ﷺ علي أهل الجنة وأهل النار تمام الإطلاع فحدث عنهم بهذا الحديث.

(٢) أجمل:أي في الوصف على آخرهم.

(٣) سددوا:اقتصدوا في الأمور وتجنبوا الإفراط والتفريط، فلا تترهبوا فتنام نفوسكم وينقحل معاشكم، ولا تنهمكوا في أمر الدنيا فتعرضوا عن الطاعة رأسا .

(٤) قاربوا:تقربوا إلي الله بالمواظبة على الطاعة مع الاقتصاد، فاعبدوه طرفي النهار وزلفا من الليل.

وقيل سددوا:أي اقصدوا السداد أي الصواب، أو بالغوا في التصويب من سدد الرجل إذا صار ذا سداد، وسد في رميته إذا بالغ في تصويبها وإصابتها

قاربوا: أي لا تغلوا والمقاربة القصد في الأمور التي لا غلو فيها ولا تقصير.

الْجَنَّة يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّة، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ[١]، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بِيَدَيْه فَنَبَذَهُمَا[٢] ثُمَّ قَالَ: فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ[٣] فَرِيقٌ فِي الْجَنَّة وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. رواه الترمذي [٤].

---

(١) أي قبل ذلك العمل الأخير .

(٢) قال صاحب التاج: أشار بيديه كأنه يطرح منهما شيئاً.

(٣) فرغ:أي انتهي من الحكم علي العباد فمنهم فريق في الجنة،ومنهم فريق في النار أو فرغ:أي انتهي تقديره في الأزل.

(٤) تحفة الأحوذي كتاب القدر باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار رقم ٢١٤١ جـ٨ ص ٢٣٣.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكم شاعر النبي ﷺ :

قدر الله ما سيفعل خلقه ... قبل خلق فذوا نجاة وهلكى
ولأمر قضاؤه غاب عنا ... وبدين يُدينُ فعلاً وتركا

ويقول ﷺ في ديوان الخطيب:

العبد مَجْزِيٌّ بما أتاه ... أطائع مولاه أم هواه
وماله بالقَدَرِ احتجاجُ ... إذا بدا في فعله اعوجاج
أقبله يبغي به توصُّلا ... أو بعده يرجو به تنصُّلا
وما دَرَى ما خَطَّه عليه ... بل شهوةٌ منه جرى إليه
ولم يعاقب على قضاه ... لكن على ما كَفُّهُ جناه
والخلق لله والاكتساب ... منَّا به نُؤْخذُ أو نثابُ
وليس إلا سبباً والسببُ ... به إلينا فعله ينتسبُ

١٩٤- الأخَوَان المحترف وغيره

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ[١] وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ[٢] لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ[٣]. رواه الترمذي[٤].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ[٥] فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ[٦] لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ[٧] وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ[٨] فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ أو أجلٍ عاجلٍ[٩].

رواه الترمذي وأبو داود[١٠].

---

(١) أي يلازمه لأخذ العلم والهدى عنه .

(٢) أي شكا المحترف الذي يسعى للعمل من أجل الرزق أخاه الذي لا يسعى لذلك.

(٣) هذه واقعة خاصة فلا يترك السعي اعتمادا عليها، ولا ينبغي للساعي أن يمن علي من يعوله، فلعله يرزق بهم إلا من قبيل إقامة الحجة إذا أنكروا. قاله صاحب التاج.

(٤) تحفة الأحوذي كتاب الزهد باب ٣٣ رقم ٢٣٤٥ جـ٩ ص ١٥٠.

(٥) أي حاجة شديدة وفقر وضيق في المعيشة .

(٦) أي عرضها عليهم وأظهرها بطريق الشكاية لهم وطلب إزالة فاقته منهم .

(٧) لم تسد فاقته:أي لم تقض حاجته، ولم تَزُل فاقته بل كلما تسد حاجة أصابته أخرى أشد منها.

(٨) أنزلها بالله:اعتمد في إزالتها علي الله .

(٩) ومن التجأ إلى الله أسرع الله له بالفرج إما بالغني العاجل أو بالموت فيستريح من الدنيا ويستغنى عنها .

(١٠) تحفة الأحوذي كتاب الزهد رقم ٢٣٢٦ جـ٩ ص ١٤٣ ،سنن أبي داود كتاب الزكاة باب الاستحقاق رقم ١٦٢٩.

١٩٥- قصة الميت في قبره

عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ(١) وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ(٢) فِي الأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ثم قال: إن المؤمنَ إذا وُضِعَ في قبرِه(٣) وتَوَلَّى عنْهُ أصحابُهُ وَهُوَ يَسْمَعُ خَفْقَ نعَالِهِمْ (٤) يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِه فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلامُ. فَيَقُولانِ لَهُ: مَن هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَقُولانِ: وَمَا يُدْرِيكَ(٥)؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (٦) فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ

---

(١) "كأن علي رؤوسنا الطير" :أي كنا ساكنين متأدبين في حضرته متواضعين بحيث يكاد يقعد الطير علي رؤوسنا، والطير لا يكاد يقعد إلا علي كل شيء لا تحرك له،كانوا رضي الله عنهم يراعون أوقاته فأحيانا يتكلمون عنده ويضحكون وأحيانا يتأدبون و لا يتحركون.

(٢) ينكت به الأرض أي: يضرب به الأرض، وذلك فعل المفكر المهموم .

(٣) ذكر القبر للغالب وإلا فالميت الذي لم يدفن يسأل كذلك.

(٤) أي يسمع أصوات حركاتهم في انصرافهم من الدفن.

(٥) وما الذي عرفك بما أجبت به .

(٦) سورة إبراهيم آية ٢٧ .

صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّة،وألبسوه من الجنة وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّة ، قَالَ: فَيَأْتِيه مِنْ رَوْحِهَا[١] وَطِيبِهَا وَيُفْتَحُ لَهُ فِيه مَدَّ بَصَرِه[٢]. وَإِنَّ الْكَافِرَ أو الْمُنَافِقَ إذا وُضِعَ فِي قَبْرِه وعَادَتْ رُوحُهُ فِي جَسَدِه يَأْتِيه مَلَكَان فَيُجْلِسَانه فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ[٣] لا أَدْرِي[٤] فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي. فَيَقُولانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي، قال: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاء أَنْ كَذَبَ[٥] فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَيَأْتِيه مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا

---

(١) فأفرشوه. قال في القاموس: أفرش فلانا لفلان بساطا: بسط له ، والمعنى : جعلوا له فرشا من فُرُش الجنة ، وقوله "وألبسوه من الجنة" يؤيد ما قيل أن الميت يلبس غير الكفن، وعدم الظهور عند أعيننا لا يضر في ذلك كما لا يضر عدم رؤية أحدنا جبريل عند النبي في حضوره عنده ﷺ . وقوله: فيأتيه من روحها، أي ما لا يوصف كنهه فأبهم ذلك،ويحتمل أن تكون مَنْ تبعيضية.

(٢) يوسع في قبره حتى يكون بقدر ما يبصر ، وفي رواية لمسلم : فيفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون، فيصير القبر كروضة من رياض الجنة من فرشها ولباسها وروح وريحان من جنة نعيم ، وهذا نعيم للروح فقط وإلا فالجسم يفنى ويبلى .

(٣) هاه هاه :كلمة يقولها المتحير الذي لا يقدر من حيرته للخوف أو لعدم الفصاحة أن يستعمل لسانه فيه .

(٤) لا أدري :أي لا أعرف شيئا ما،أو ما أجيبُ به،وهذا بيان لقوله: هاه هاه .

(٥) أن كذب أي فيما قال لا ادري؛ لأن دين الله ونبوة رسوله كان ظاهرا، ويحتمل أن المراد الكذب في الدنيا، و لم يقل عبدي إهانة له،وقد قال تعالي ﴿ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾ سورة محمد آية ١١.

وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ[١] ثُمَّ يُقَيَّضُ[٢] لَهُ أَعْمَى[٣] أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ[٤] لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ.

رواه أبو داود والنسائي[٥].

---

(١) أضلاعه: جمع ضلع، وهو عظم الجنب،، أي حتى يدخل بعضها في بعض من الشدة، والتضييق والضغطة.

(٢) يقيض: يسلط ويوكل.

(٣) كيلا يرحمه ويشفق عليه.

(٤) المرزبه: المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد وغيره ويقال لها الإرزبة، لو ضرب به الجبل لصار ترابا .

(٥) سنن أبي داود كتاب الجنائز كيف يجلس على القبر رقم ٣١٩٦، سنن النسائي كتاب الجنائز —باب الوقوف للجنائز رقم ٢٠٠٠ ج٤ /٣٨٠، التاج جـ٥ ص ٢٠٩.

ويقول شيخنا الخطيب في عقيدته:

وكل ما جاء عن المعتقد ... في الذكر أو نقل الثقات اعتقد
مثل سؤال القبر والعذاب ... والحشر والمعاد للحساب

ويقول ﷺ في ديوانه حكمة الرجز عن الموت:

ما الموت إلا مرحله ... لغاية موصله
والجسم ذو الصلاحيه ... الروح فيه باقيه
حتى إذا أصبح لا ... يصلح – عنه انتقلا
حيث النعيم الدائم ... أو العذاب اللازم
فكان الاستعداد له ... سبيلَ من قد كمَّلَهْ
وكان فَرضُنا الرضا ... بكل ما فينا قضى

١٩٦- الثلاثة الذين يحبهم الله، والثلاثة الذين يبغضهم

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَثَلاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ، فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ لِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ[١] بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلا اللَّهُ، وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ[٢] فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِي[٣] وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا، وَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ[٤]، وَالثَّلاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ[٥].

رواه الترمذي وابن حبان والحاكم[٦].

---

(١) رجل من القوم الذين منعوا السائل .

(٢) مما يعدل به : أي يقابل به من المال .

(٣) يتملقني:يتضرع إلي، ويزيد في الود والدعاء والابتهال، من الملق وهو الزيادة في التودد حباً في الله وطاعة له.

(٤) يتم له النصر على الأعداء.

(٥) قال صاحب التاج : الزاني الكبير في السن لأن كبره أدعى لزجره، والفقير المتكبر ؛ لأن فقره أدعى لتواضعه، والغني كثير الظلم لنفسه وللناس لأن غناه أدعى لشكر الله على نعمه.

(٦) تحفة الأحوذي كتاب الجنة رقم ٢٥٦٨ جـ ١٠ ص ٢٩. التاج ج ٥ ص ٢١٣ .

١٩٧– قصة القبر مع الدفين

عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مُصَلاهُ فَرَأَى نَاسًا كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ[١] فقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ[٢] لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ[٣]. لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ: الْمَوْت، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلا تَكَلَّمَ فِيه[٤] فَيَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ[٥] وَأَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ[٦] وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ. فَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ[٧] قَالَ لَهُ الْقَبْرُ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً[٨]. أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ[٩] فَإِذْا

---

(١) يكتشرون:من الكشر وهو ظهور الأسنان للضحك.

(٢) أما إنكم، قال ابن مالك: يجوز كسر إن بعد أما مقصود بها معني ألا الاستفتاحية، وإن قصد بها معني حقا فتحت والمعني: أيها الناس الذين جلستم عند مصلانا تكتشرون، أي تضحكون.

(٣) أي قاطعها وهو الموت .

(٤) إلا تكلم فيه أي حقيقة، قال المناوي :والذي خلق الكلام في لسان الإنسان قادر علي أن يخلقه في الجماد، ولا يلزم من ذلك سمعنا له،ويحتمل أن المراد أن يقول ذلك بلسان الحال.

(٥) فالذي يسكنني غريب .

(٦) فمن حل بي حل وحيدا .

(٧) فمن سكنني أكله التراب والدود الذي ينشأ من أجساد الموتى، ومن ثم قال حكيم :اجعل قبرك خزانتك، احشها من كل عمل صالح أمكنك ليؤنسك .

(٨) أي أتيت مكاناً رحباً وحللت أهلاً.

(٩) أي لما أنك مطيع لربي وربك .

وَلِيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ[١] فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ، قَالَ: فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ[٢]، وَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ أَوِ الْكَافِرُ فَقَالَ لَهُ الْقَبْرُ: لا مَرْحَبًا وَلا أَهْلاً أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ فَإِذَا وَلِيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ؛ قَالَ: فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ[٣] حَتَّى تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وَتَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ[٤]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصَابِعِهِ فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ: وَيُقَيِّضُ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ تِنِّينًا (ثعباناً) لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا فَيَنْهَشْنَهُ[٥] وَيَخْدِشْنَهُ حَتَّى يُفْضَى[٦] بِهِ إِلَى الْحِسَابِ. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا

---

(١) وصرت إلي :أي انتقلت من الدينا إلي.

(٢) يعني تفتحه له الملائكة بإذن الله أو ينفتح بنفسه بأمر الله. فيملا قبره منها وتنعم روحه بنعيمها إلي يوم الدين.

(٣) يلتئم أي: ينضم حتي يلتقي عليه بشدة وعنف ويعصره حتى تتصل أعضاؤه بعضها ببعض.

(٤) أي من شدة الضغط :وقضية هذا الحديث أن الضم مخصوص بالكافر، والفاسق، وأن المؤمن المطيع لا ينضم عليه. وصريح ما ذكر في قصة سعد بن معاذ وقوله "لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد" خلافه ويمكن الجواب بأن المؤمن الكامل ينضم عليه ثم ينفرج عنه سريعا والمؤمن العاصي يطول ضمه ثم يتراخي عنه بعد، وأن الكافر يدوم ضمه أو يكاد أن يدوم وبذلك يحصل التوفيق بين الحديثين ويزول التعارض .

(٥) النهش: القبض علي اللحم ونثره. والخدش : الجرح في ظاهر الجلد .

(٦) حتي يفضي :أي يصل إلي يوم القيامة،و الإفضاء الوصول يقال أَفْضَتْ إلي الشئ وَصَلَتْ إليه .

الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ[١] أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ[٢]"

رواه الترمذي بسند حسن[٣].

---

(١) "إنما القبر روضة من رياض الجنة" :أي حقيقة لما يُتْحف المؤمن به من الريحـــان وأزهار الجنات،أو مجازا عن خفة السؤال علي المؤمن، وأمنه وإراحته وســـعته، كما يقال فلان في الجنة إذا كان عَيْشه رغد.

(٢) أي حقيقة أو مجازا علي ما تقرر قبله ، والقبر واحد القبور وهو مما أكرم به بنو آدم قال الزمخشري :تقول: نقلوا من القصور إلي القبور، ومن المنابر إلي المقابر. وظاهر الحديث يدل علي أن عذاب القبر غير منقطع، وفى كثير مـــن الأخبـــار والآثار ما يدل علي انقطاعه، والظاهر اختلافه باختلاف الأشخاص. نسأل الله السلامة .

(٣) تحفة الأحوذي كتاب صفة القيامة باب رقم ٢٤٦٠ جـــ٦ ص ٢٠٧.

١٩٨- من مات على الإيمان دخل الجنة مهما عمل

عَنْ أَبي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَمْشي مَعَ النَّبيِّ ﷺ في حَرَّة الْمَدينَة عشَاءً وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى أُحُد فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ: مَا أُحبُّ أَنَّ أُحُدًا ذَاكَ عنْدي ذَهَبٌ أَمْسَى ثَالثَةً[١] عنْدي منْهُ دينَارٌ إلا دينَارًا أَرْصُدُهُ[٢] لدَيْن إلا أَنْ أَقُولَ[٣] به في عبَاد اللَّه هَكَذَا حَثَا بَيْنَ يَدَيْه، وَهَكَذَا عَنْ يَمينه وَهَكَذَا عَنْ شمَاله ثُمَّ مَشَيْنَا قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ مكانك حَتَّى آتيكَ[٤]. فَانْطَلَقَ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي، قَالَ: فَسَمعْتُ لَغَطًا وصَوْتًا فَقُلْتُ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ عُرضَ لَهُ[٥] فَهَمَمْتُ أَنْ أَتْبعَهُ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ لا تَبْرَحْ مكانك حَتَّى آتيَكَ فَلَمَّا جَاءَ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذي سَمعْتُ فَقَالَ: ذَاكَ جبْريلُ أَتَاني فَقَالَ: مَنْ مَاتَ منْ أُمَّتكَ لا يُشْركُ باللَّه شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ! قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ[٦]. رواهما الشيخان[٧].

---

(١) أي عندي منه دينار في مساء الليلة الثالثة ، وذلك مبالغة في سرعة الإنفاق.

(٢) أرصده : أعده لدَيْن عليَّ .

(٣) استثناء من أول الكلام وهو استثناء مفرغ ، والقول في عباد الله : الصرف فيهم والإنفاق عليهم فأطلق القول على الفعل .

(٤) أي كن كما أنت لا تبرح مكانك.

(٥) سمعت لغطا أي كلاما غير مفهوم ، وعرض له : حدث له شيء يؤذيه .

(٦) وخص الزنا والسرقة بالذكر لأنهما من أفحش الكبائر. قال القاضي عياض : والحديث حجة لأهل السنة في أنه لا يخلد أحد من أهل القبلة في النار . ويؤخذ منه نفي كراهية محبة المال ما دام ينتفع بوجوده في وجوه الخير.

(٧) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب من أجاب بلبيك وسعديك رقم ٦٢٦٨ج ٢٣/ ٣٩٧، ٣٩٨. صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب الترغيب في الصدقة رقم ٩٩١ ، التاج الجامع للأصول ج ٥ ص ٢١٨.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي وَحْدَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ(١) فَالْتَفَتَ فَرَآنِي فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: تَعَالَهْ(٢). قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ: إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٣) إِلا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا(٤) فَنَفَحَ فِيهِ(٥) يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا ، فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ: اجْلِسْ هَا هُنَا فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ(٦) حَوْلَهُ حِجَارَةٌ فَقَالَ : اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ . فَانْطَلَقَ فِي الْحَرَّةِ(٧) حَتَّى لا أَرَاهُ فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ اللُّبْثَ ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ يَقُولُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ(٨) مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ- مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ

---

(١) أي لأختفي عنه،وإنما مشي خلفه لاحتمال أن يطرأ له ﷺ حاجة فيكون قريبا منه.

(٢) تعاله بهاء السكت ويُرْوى بإسقاطها.

(٣) إن المكثرين هم المقلون :معناه المكثرون من المال هم المقلون في الثواب يعني كثرة المال تؤول بصاحبه إلي الإقلال من الحسنات يوم القيامة إذا لم ينفقه في طاعة الله تعالى فإن أنفقه فيها كان غنيا من الحسنات يوم القيامة.

(٤) خيرا أي مالا .قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾البقرة/ ١٨٠ .

(٥) نفح فيه:ضرب يديه فيه بالعطاء يقال: نفح فلان فلانا بشيء أي أعطاه والنفحة: الدفعة. والمراد بالجهات جميع وجوه البر والخيرات.

(٦) القاع :أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال .

(٧) الحرة :أرض ذات حجارة سود كأنها احترقت بالنار .

(٨) جعلني الله فداك :فيه جواز التفدية خلافا لمن كرهها ، وقال لا يفدي بمسلم،وفيه جواز الجواب بلبيك وسعديك.

إِلَيْكَ شَيْئًا. قَالَ: ذَاكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ[١]. فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّ مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللَّه شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى[٢]؟ قَالَ: نَعَمْ . قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ. رواه الشيخان[٣].

(١) أحدا يرجع إليك أي يكلمك، ومعنى عرض لي: ظهر لي فكلمني .

(٢) قوله"وإن سرق وإن زني" :قال العيني قيل يحتمل معنيين : أحدهما : أن هذه الأمة يغفر لجميعها.

والثاني :أن يكون يدخل الجنة من عوقب ببعض ذنوبه فأدخل النار بذنوبه ثم أخرج منها. قال القاضي عياض :هذا علي ما تقدم من أن المعاصي في المشيئة، وأنه إن نفذ فيه الوعيد لا بد له من دخول الجنة.

قال صاحب التاج: وفيه أن من مات على كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو من أهل الجنة بدون عذاب إن كان قائماً بفروع الشريعة ولو قصر أو عصى وتاب إلى ربه، وبعد التطهير في النار إن لم يتب، وربما عفا الله عنه بفضله ورحمته.

(٣) عمدة القاري كتاب الرقاق باب المكثرون هم المقلون حديث رقم ٦٤٤٣ جـ٢٣ ص ٧٧ ،صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب الترغيب في الصدقة حديث رقم ٥٥١ التاج الجامع للأصول جـ٥ ص ٢١٧.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

وقد يجود الله بالغفران ... لغير ذي كفر من العصيان

وغير باق في العذاب العاصي ... ولو أتى بأكبر المعاصي

ويقول ﷺ في ديوانه حِكَم شاعر الرسول ﷺ .

مت مؤمنا تأمن خلود النار ... ويجوز عنك العفو من غفار

وتجوز فيك شفاعة المختار ... والمنتهى خلد مع الأبرار

١٩٩- أول نقص بني إسرائيل

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ[١] كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّـهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ[٢]. فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ[٣] ثُمَّ قَالَ: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[٤] ثُمَّ قَالَ: كَلا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ[٥] وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّـهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا[٦]

---

(١) أي في دينهم.

(٢) أي لا يمنعه من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده،والكل علي وزن فعيل بمعنى فاعل، وهو من يصاحبك في الأكل والشرب والقعود.

(٣) ضرب الله قلوب بعضهم ببعض: أي سود قلوب الطائعين بسكوتهم عن العاصين فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول الحق والخير بسبب المعاصي، ومخالطة بعضهم بعضا.

(٤) سورة المائدة ٧٨ – ٧٩ .

(٥) المعروف :ما عرف في الشرع يعني أمر معروف بين الناس يعرفونه ولا ينكرونه إذا رأوه، والمنكر: أمر لا يعرف في الشرع بل منكر ينكره من رآه كالشخص الذي لا يعرفه الناس وينكرونه إذا رأوه .

(٦) قال الخطابي :أي لتردُّنّه علي الحق ، وأصل الأطر العطف والتثني ، قال ابن الأثير: وتأطروه علي الحق أطرا تعطفوه عليه.

وَلَتَقْصُرُنَّهُ(١) عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ. رواه أبو داود والترمذي بسند حسن(٢).

(١) أي لتحبسنه عليه ، وتلزمنه إياه قال ابن الأثير : يقال قصرت نفسي علي الشيء إذا حبستها عليها وألزمتها إياها، قال القاري : اعلم أنه إذا كان المنكر حراما وجب الزجر عنه وإذا كان مكروها ندب، والأمر بالمعروف أيضا تَبعٌ لما يؤمر به، فإن وَجَبَ فواجب وإن نُدبَ فمندوب.

(٢) سنن أبي داود كتاب الملاحم باب الأمر والنهي رقم ٤٣٢٦ تحفة الأحوذي كتاب التفسير باب من سورة المائدة رقم ٣٠٤٨ جـ١١ ص ١٣٢.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه منظومة الآداب:

وهجرانُ من أبدى المعاصي سُنَّةٌ ... وقد قيل إن يَرْدَعْهُ أَوْجَبْ وَأَوْكَد(١)

وقِيل على الإطلاق ما دام مُعْلِناً ... ولاقهْ بوجه مُكْفَهِرٍّ مُرْبَد(٢)

(وهجران من يدعو لأمر مضل او ... مُفْسقٍ اختمْهُ بغير تردُّد(٣)

على غير من يقوى على دحض قوله ... ويدفع أضرار المضل بِمِذْوَدِ) (٤)

(١) هجر المجاهر سنة وإذا ردعه أصبحواجباً وسنة مؤكدة .

(٢) مربد: احمرار الوجه مع سواد عند الغضب .

(٣) فالهجر حتم دون تردد على الذي لا يستطيع دفع حجتهم بالحجة أو دحضها بالدليل والبرهان .

(٤) مزود: اللسان .

٢٠٠- صاحب خيبر مع النبي ﷺ وأصحابه

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ[١] مَارِدًا مُنْكَرًا[٢] فجاء للنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَلَكُمْ[٣] أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا[٤]، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْف ارْكَبْ فَرَسَكَ ثُمَّ نَاد أَلا إِنَّ الْجَنَّةَ لا تَحِلُّ إِلا لِمُؤْمِنٍ وَأَنِ اجْتَمِعُوا لِلصَّلاةِ. فَاجْتَمَعُوا فصَلَّى بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِه[٥] قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ أَلا وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا[٦] لَمِثْلُ

---

(١) صاحب خيبر :أي رئيسهم من اليهود .

(٢) ما ردا منكرا ، أي: عاتيا داهيا فطنا .

(٣) ألكم ، أي: أيحل لكم .

(٤) لعل قوله أن تذبحو حمرنا إشارة إلي ما فعل بعض أصحابه عند فتح خيبر من ذبح الحمر وكان هذا قبل النهي عن أكل الحمر، والمراد بأكل الثمر أكلهم زائدا عما تقرر عليهم من نصف خيبر وعلم النبي ﷺ صدْقه .

(٥) علي أريكته :أي سريره المزين بالحلل والأثواب في قبة، أو بيت كما للعروس، يعني الذي لزم المبيت وقعد عن طلب العلم ،وقيل المراد بهذه الصفة للترفه والتزهة كما هو عادة المتكبر المتجبر القليل الاهتمام بأمر الدين.

(٦) أنها أي الأشياء المأمورة والمنهية علي لساني بالوحي الخفي قال تعالي : "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي" ، لمثل القرآن أو أكثر : أي لمثل ما في القرآن في العدد أو أكثر. فقوله أو في قوله أو أكثر، ليس للشك بل إنه عليه الصلاة والسلام لا يزال يزداد علما طورا بعد طور إلهاما من قبل الله ومكاشفة لحظة بلحظة فكوشف له أن ما أوتي من الأحكام غير القرآن مثله ثم كوشف له بالزيادة متصلا به. ذكره الأبهري.

الْقُرْآن أَوْ أَكْثَرُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا بِإِذْنٍ[١] وَلا ضَرْبَ نِسَائِهِمْ وَلا أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوْكُمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ[٢].

رواه أبو داود في الجزية بسند صالح[٣].

---

(١) إلا بإذن :أي إلا أن يأذنوا لكم بالطوع والرغبة. ومنه يؤخذ أن أهل الكتاب إذا قاموا بما عليهم فلهم ما لنا وعليهم ما علينا من الحرمة.

(٢) والحاصل عدم التعرض لهم بإيذائهم في المسكن والأهل، والمال إذا أعطوا الجزية.

(٣) سنن أبي داود كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في تفسير أهـل الذمـة إذا اختلفوا رقم ٣٠٤٧ عون المعبود جـ٨ ص ٢٠٩ ، التاج جـ٥ ص ٢٤٠.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين عن سنته ﷺ:

يا أفصح الناس من بدو وحاضرة ... لقد حبيت بيانا جـامع الكلـم
الله أكـبر إن الـذكر منزلـة ... أولى وقولك يتلو الذكر في العظم
فصَّلت بالسنة الغـراء مجملـه ... فكان أدنى الجنى من كف مسـتلم
صغت الأبيَّات في الألفاظ هينـة ... يلتذها السمع عذبات بكل فـم
روح وراح وريحـان ومروحـة ... وراحة ومراح الخلق مـن سـأم
معلم الكون ما خط الكتاب ولم ... يجلس مدى عمره يوماً إلى علـم
حماه مولاه تعليـم الأنـام لـه ... حتى يرى عظم المولى مـن الـنعم
الله أعلم حيـث العلـم يجعلـه ... وقد حباه عميم العلـم والحكـم
والعلم من ذا الذي يجزي معلمه ... غير العليم القدير الواحد الحكـم

٢٠١- الرسول ﷺ والسيدة فاطمة وغلامها

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى فَاطِمَةَ بِعَبْدٍ قَدْ وَهَبَهُ لَهَا قَالَ(١): وَعَلَى فَاطِمَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا ثَوْبٌ إِذَا قَنَّعَتْ(٢) بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا غَطَّتْ بِهِ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَلْقَى(٣) قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكِ بَأْسٌ(٤) إِنَّمَا هُوَ أَبُوكِ وَغُلامُكِ(٥).

رواه أبو داود في اللباس بسند صالح(٦).

---

(١) أي أنس .

(٢) إذا قنعت بتشديد النون المفتوحة: أي سترت وغطت به.

(٣) فلما رأي النبي ﷺ ما تلقي: أي ما تلقاه فاطمة ﷺ من التحير والخجل، وتحمل المشقة من جر الثوب من رجلها إلي رأسها،ومن رأسها إلي رجلها حياءً.

(٤) أي في رؤية رأسك ورجليك .

(٥) أنما هو : أي من استحييت منه أبوك وعبدك فلا شيء في نظرهما لك ، والحديث فيه دليل علي أنه يجوز للعبد أن ينظر إلي سيدته وأنه من محارمها يخلو بها ويسافر معها وينظر منها إلي ما ينظر إليه محارمها،وإلي ذلك ذهبت عائشة، وسعيد بن المسيب، والشافعي في أحد قوليه وأصحابه، وهو قول أكثر السلف. وذهب الجمهور إلي أن المملوك كالأجنبي بدليل صحة تزوجها إياه بعد العتق، وحمل الشيخ أبو حامد هذا الحديث علي أن العبد كان صغيرا لإطلاق لفظ الغلام، ولأنها واقعة حال. ومنه يؤخذ بيان حال أهل بيت النبوة ﷺ أجمعين.

(٦) عون المعبود كتاب اللباس باب في العبد ينظر إلي شعر مولاته رقم ٤١٠٠ جـ١١ ص ١١١ .التاج الجامع للأصول ٥/ ٢٤٢.

٢٠٢- النبي ﷺ وزوجاه وابن أم مكتوم

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةُ فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بِالْحِجَابِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: احْتَجِبَا مِنْهُ[١] فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَيْسَ أَعْمَى لا يُبْصِرُنَا وَلا يَعْرِفُنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ[٢]. رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح[٣].

---

(١) الخطاب لأم سلمة، وميمونه - رضي الله عنهما- واحتجبا: أرخيا على وجوهكم وصدوركم الجلباب.

(٢) أفعمياوان أنتما : تثنية عمياء تأنيث أعمي : والحديث فيه دليل علي أن المرأة لا يجوز لها النظر إلي الرجل قال النووي: وهو الأصح.
وقال الجمهور: يجوز نظر المرأة إلي بدن الأجنبي سوى ما بين سرته وركبته إن لم يكن خوف الفتنة،والدليل عليه حديث عائشة : أنها نظرت إلي الحبشة وهم يلعبون في المسجد،وحديث فاطمة بنت قيس، وقوله ﷺ لها اعتدّي في بيت ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمي تضعين الثياب عنده فوقع التعارض بين الأحاديث بالمنع والرخصة،فقيل المنع محمول علي الورع، وحديث الحبشة وغيرها محمول علي الرخصة، وقيل المنع محمول علي خوف الفتنة. والرخصة في حالة الأمن. وبعضهم قال إن المنع في أزواج النبي ﷺ خاصة والرخصة في غيرهن وقد أشار أبو داود إلي الجمع بقوله (وهذا لأزواج النبي ﷺ خاصة).

(٣) تحفة الأحوذي كتاب اللباس باب في قوله تعالي ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ رقم ٤١٠٦ ج١١/ ١١٤، عارضة الأحوذي كتاب الأدب باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال رقم ٢٧٧٨ التاج جـ٥ ص ٢٤٣ ، قال ابن العربي : كما يحرم نظر الرجل إلى المرأة كذلك يحرم نظر المرأة إلى الرجل، وهو أمر جهله الناس، فلا يأمرون به النساء ولا ينبهوهن علي ذلك حتى صرن يسترسلن في النظر إلى الرجال وأشد من ذلك اعتقادهن أنه مباح فوجب علي كل أحد تحذير من هو راع عليه.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه :

لا ترسلن الطـرف نحـو محـرم وامنع فـؤادك أن يجـول بمـأثم
فـالله يعلـم خائنـات الأعـين ونيّات قلـبٍ محسـنٍ أو مجـرم

ويقول ﷺ في ديوانه منظومة الآداب:

ألا كل من رام السـلامة فليصـن جوارحه عما نهـى الله يهتـدي
يكُبُّ الفتى في النار حصد لسـانه وإرسال طرف المرء أنكى فقيد[1]
وطرف الفتى يا صاح رائد فرجـه ومُتْعِبُه فاغضضه ما اسطعت تهتد[2]

(١) الطرف : نظر العين .
(٢) اغضض: كُفَّهُ واخفضه .

٢٠٣- اليهود والنبي ﷺ والسيدة عائشة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ[١] مِنَ الْيَهُود عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ[٢] عَلَيْكُمْ. فَفَهِمْتُهَا[٣] فَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ[٤]. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَهْلاً[٥] يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه[٦] فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَـالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : فَقَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ[٧].

---

(١) الرهط من الرجال ما دون العشرة، وقيل إلي الأربعين، ولا يكون فيهم امـرأة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع علي أرهط .

(٢) السام: الموت. ومنه "لكل داء دواء إلا السام قيل وما السام يا رسول الله قال المـوت" رواه البخاري ومسلم، قال الخطابي : فسَّروا السام بالموت في لساهم كأهم دعوا عليه بالموت وكان قتادة يرويه بالمد من السآمة وهو الملل أي تسأمون دينكم.

(٣) أي: فهمت معناها.

(٤) قال القاضي عياض فيه الانتصار للسلطان وأهل الفضل، ووجوب ذلك علـي حواشيهم والمسلمين.

(٥) مهلا : أي تأنَّيْ وارْفُقي. قال الجوهري : المهل: التؤدة والتباطؤ.

(٦) فإن الله يحب الرفق في الأمر كله : قال النووي: هذا من عظيم خلقه ﷺ وكمال حلمه ، وفيه الحث علي الحلم والرفق والصبر ما لم تدع حاجة إلي المخاشنة.

(٧) قال صاحب التاج: فهذا إذا علمنا أهم يقولون السام عليكم أو لم نعلم ما قالوا فنرد عليهم بقولنا وعليكم أي الموت أيضاً فإنه مكتوب على الناس كلهم، أمـا إذا سمعنا قولهم السلام عليكم وجب علينا الرد عليهم.

رواه الشيخان والترمذي. وفي رواية لمسلم[(١)].

فَسَمِعَتْ عَائِشَةُ فَسَبَّتْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَهْ[(٢)] يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ[(٣)]. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِه اللَّهُ﴾ إِلَى آخر الآيَة .

---

(١) عمدة القاري كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله رقم ٦٠٢٤ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب السلام باب في النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام رقم ٢١٦٥ ، ٢١٦٦ التاج الجامع للأصول جـ٥ ص ٢٤٩.

(٢) أي: كُفّي عن هذا القول الشديد .

(٣) الفاحش : ذو الفحش في كلامه، والمتفحش المتكلم بذلك يتعمده وقد يكون المتفحش الذي يأتي الفاحشة المنهي عنها، والفواحش: القبائح، والفحش من القول ما يقبح، ومن الذنوب كذلك، وقيل الفحش: الزيادة علي ما عهد من مقدار الشئ والعدوان فيه. قال القرطبي : فاحشة اسم فاعل من الفحش والفحش: ما ينفحش في القول والفعل وأكثر استعماله في الفاحشة التي هي الزنا، وإنما هو من الفحش في القول، أي لا يصدر منك كلام فيه جفاء وهذا منه ﷺ لعائشة رضي الله عنها بالتريث والرفق وعدم الاستعجال، وتأديب لما نطقت به من اللعنة وغيرها، فكان ﷺ يتألف الكفار بالأموال الطائلة فكيف بالكلام الحسن.

٢٠٤- الآيات التسع العامة في كل ملة

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ ﷺ قَالَ:قال يهوديٌّ لصَاحبه: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبيِّ، فَقَالَ صَاحبُهُ: لا تَقُلْ نَبيٌّ إنه لو سمعك كَانَتْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ. فَأَتَيَا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ[1]. فَقَالَ: لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ

---

(١) آيات بينات: واضحات لازمات على كل إنسان أن يعمل بها في كل شرع وفي كل زمان. روي ابن وهب عن مالك قال : التسع الآيات التي أوتيها موسى: الحجر،العصا، اليد،الطوفان،الجراد،القمل،الضفادع،الدم،الطور.

روي ابن القاسم عن مالك : هو الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم والعصا بيده، والبحر والجبل وهذه الأقوال إنما هي متلقاه من القرآن وتلقيها صحيح فإن القرآن قد تضمن آيات أوتيها موسي.

وأوتي موسى آيات أخر من التكليف،وكل شاهد لنبوته آية، وكل أمر أُمر به أو نهي عنه آية،فبين النبي عليه السلام أن المراد بالآيات المذكورة في جزء الآية هي الآيات التي من جمعة الأمر والنهي لا من جمعة الإعجاز والبرهان والله أعلم. ولو بلغ مالكا هذا الحديث لما فسره، ولكن تفسيره صحيح علي وجهه جائز في تأويل القرآن علي صحته، وقد احتمع من الروايتين إحدي عشرة آية، ولم يذكر فيها إلا ما جاء في القرآن بيناً في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام / ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا ولا تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِـالْحَقِّ، وَلا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ ولا تَسْحَرُوا، وَلا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلا تُوَلُّوا الفِرارَ يومَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةَ اليهودِ أَلاَّ تَعْدُوا فِـي السَّبْتِ. قَالَ: فَقَبَّلوا يَدَهُ، وَرِجْلَه فَقَالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكُم أَنْ تَتَّبِعُونِي؟ قَالوا: إِنَّ دَاوُدَ- عليه السلامُ- دَعَا رَبَّهُ أَلاَّ يَزَالَ فِي ذُرِّيَّتِه نَبِيٌّ. وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ تبعناك أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودُ [١]. رواه الترمذي بسند صحيح[٢].

---

(١) وقد تبين في تفسير آياته حكمة أن الله سبحانه يضل من يشاء. ويهدي من يشاء انظروا إلي تقبيل اليهود يده ﷺ ورجليه واعترافهم بأنه النبي لمَا تبين لهم منـــه ثم إلي قولهم بعد ذلك: إنا لا نؤمن؛ لأن داود دعا أن لا يزال نبي من ذريته، فكيف يجتمع الإنكار مع الإقرار، والنفي مع الإثبات إلي قولهم بعد ذلـــك: نخـــاف أن تقتلنا اليهود. ولو أسلموا وانحازوا إلي النبي وصحبه ما اعترضتهم يهود كمـــا لم تفعل ذلك بغيرهم..

(٢) تحفة الأحوذي حديث رقم ٣١٤٤ عون المعبود رقم ٥٢١٢ التاج ج٥ ص٢٥٩.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكَم شاعر النبي ﷺ :

الكبائر: ١٧: في القلب ٤. وفي اللسان ٤. وفي البطن ٣. وفي الفرج ٢. وفي اليدين ٢. وفي الرجلين ١ . وفي جميع الجسد ١ . ونظمتها على هذا الترتيب:

شرك وإصرار على المعاصـــي — والأمن والقنوط من خـــلاص
شهادة الزور وقذف المحصـــن — والسحر منها وغموس الأيمن
وأكل أموال اليتـــامى قهـــراً — أكل الربا وأن يذوق الخمـــرا
زنـــا لـــواط ســـرقة وقتـــل — فرار زحف أن يُعَقَّ الأصـــل

٢٠٥- خلتان يحبهما الله

عَنْ أُمِّ أَبَانَ بِنْتِ الْوَازِعِ بْنِ زَارِعٍ عَنْ جَدِّهَا زَارِعٍ رَضِي الله عَنْهُم وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ(١) قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلنَا(٢) فَنُقَبِّلُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَرِجْلَهُ، وَانْتَظَرَ الْمُنْذِرُ الأَشَجُّ(٣) حَتَّى أَتَى عَيْبَتَهُ(٤) فَلَبِسَ ثَوْبَيْهِ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ(٥) يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ(٦) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ جَبَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا؟- قَالَ " بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا". قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ(٧).

---

(١) أي الذين جاءوا النبي ﷺ وكانوا أربعة عشر رجلا .

(٢) نتبادر من رواحلنا: أي نترل عنها مسرعين .

(٣) الأشج: اسمه المنذر بن الحارث العبدي، سمي الأشج لجرح كان بوجهه،وكان رأس الوفد فلما وصلوا إلي النبي ﷺ أسرع القوم عن رواحلهم وذهبوا للنبي ﷺ، وصاروا يقبلون يده ورجله، ولكن المنذر نزل عن راحلته، ولبس ملابس نظيفة بيضاء وذهب للنبي ﷺ بسكينة وخشوع، فلما رأي النبي ﷺ ذلك الأدب والخشوع قال إن فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله فحمد الله علي ذلك .

(٤) العيبة:وعاء الملابس .

(٥) خلتين: أي خصلتين .

(٦) الحلم قال المناوي : العقل وتأخير مكافأة الظالم أو العفو عنه أو غير ذلك ، الأناة : التثبت وعدم العجلة .

(٧) هذا لا يناقضه النهي عن مدح المرء في وجهه لأن ما كان من النبوة فهو وحي والوحي لا يجوز كتمه، أو أن المصطفي ﷺ علم من حال الأشج أن المدح لا يلحقه منه إعجاب فأخبره بأن ذلك مما يحبه الله ليزداد لزوما ويشكر الله علي ما منحه . ويحث غيره على التخلق والتحلي بهذه الصفات.

رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح[١].

(١) تحفة الأحوذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في التأني رقم ٢٠١١ جـ٨ ص ١٢٩ .عون المعبود جـ١٢ ص ٣١٥ . التاج جـ٥ ص ٢٥٩.

ويؤخذ من الحديث:

جواز تقبيل أيدي أهل الفضل لأن الرسول ﷺ أقر فعل من قبلوا يده ورجله وهو لا يقر على باطل فصار التقبيل جائزاً.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب:

زرعت الود في كل القلوب   بما أولاك علام الغيوب
من الآداب والكرم العجيب   ومن حلم وعلم واحتشام

ويقول ﷺ في ديوانه حكم شاعر الرسول ﷺ :

علامةُ حسْنِ الْخُلْقِ أنْ تُنصفَ الْوَرَى   وتَجْمُلَ في قول لأعلى وأحقرا
وتتركَ زلات وتَعْذُرَ جانيا   وَتَصْفَحَ عن مؤذٍ وتُكرمَ من ترى

٢٠٦- طالب القصاص من الرسول ﷺ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قال: كان أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ الأنصاريُّ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ ويُضْحِكُهُمْ لمزاح كان فيه فَطَعَنَهُ[١] النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خَاصِرَته بعُود فقَالَ: أَصْبِرْنِي يا رسول الله. فَقَالَ: اصْطَبِرْ[٢] قالَ: إنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَمِيصِهِ فَاحْتَضَنَهُ[٣] وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ[٤] قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ[٥].

رواه أبو داود بسند صالح[٦].

---

(١) أي غمزه في وسطه .

(٢) أصبرني :أي اصطبر وقدْني منك. قال ابن الأثير: أن النبي ﷺ طعن إنسانا بقضيب مداعبةً. فقال له: أصبرني. قال: اصطبر. أي أقدْني من نفسك: قال: استقد، يقال اصطبر فلان من خصمه أي اقتص منه، وأصبره الحاكم أي أقصه من خصمه.

(٣) فاحتضنه :اعتنقه وأخذه في حضنه وهو ما دون الإبط إلي الكشح.

(٤) الكشح : ما بين الخاصرة إلي الضلع الأقصر من أضلاع الجنب.

(٥) أي ما أردت بقولي أصبرني إلا هذا التقبيل وما أردت حقيقة القصاص.

(٦) سنن أبي داود أبواب السلام باب في قبلة الحسد رقم ٥٢١٣. التاج ج٥ ص٢٦٠

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب:

رزقت سماحة ورزقت دينا   قويما عادلاً سمحاً مبينا
فلو أن الخلائق أجمعينا   به أخذوا لكان به النجاء
زرعت بذوره شيئاً فشيئاً   فمد على الورى ظلا وفيئاً
وبَاكَرَ ذو الحصاة إليه جَيْئًا   فادركه بداريه الهناء

٢٠٧- من أدب الرسول ﷺ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: نَادَى رَجُلٌ فقال: يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَالْتَفَتَ إِلَيْه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه: إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ[١] إِنَّمَا دَعَوْتُ فُلانًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي[٢].

---

(١) لم أقصدك بالنداء .

(٢) تسموا: أمر بصيغة الجمع من باب التفعيل، أي سموا بأي اسم من أسمائه أولادكم وأقاربكم إلا أبا القاسم، فلا تسموا به ولا تكتنوا.

قال عياض : قصر مالك وجماعة النهي على زمنه ﷺ للعلة التي ذكر أن رجلا نادى بأبي القاسم، ولما روي: أن المنافقين المستهزئين كانوا يفعلونه؛ ينادون يا أبا القاسم، فإذا التفت قالوا لا نعنيك. قالوا وما بعد زمانه ﷺ فيجوز، وقد يكنّي بذلك جماعة من السلف ومنهم محمد بن أُبي ﷺ كان يكني أبا القاسم وعمم جماعة من السلف وأهل الظاهر النهي سواء كان الإسم محمدا أو غيره.

قلت: الأول: قال النووي: مذهب الشافعي وأهل الظاهر أنه لا يَحلُّ التكني بأبي القاسم لأحد أصلا سواء كان اسمه محمدا أو أحمدا و لم يكن لظاهر هذا الحديث.

الثاني : أن النهي كان في أول الأمر ثم نسخ فيباح التكني اليوم بأبي القاسم لكل أحد كان اسمه محمدا أولا وهو مذهب مالك وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء.

الثالث :مذهب بن جرير أنه ليس بمنسوخ وإنما كان النهي للتتريه والأدب لا للتحريم.

الرابع :أن النهي عن التكني مختص بمن اسمه محمد أو أحمد، ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمّي بأبي القاسم مطلقا، وينهي عن التسمية بالقاسم لئلا يكنى بأبي القاسم، وقد غير مروان بن الحكم اسم ابنه عبد الملك حين بلغه هذا الحديث فسماه عبد الملك وكان سماه أولا القاسم وفعله بعض الأنصار أيضا.

رواه الشيخان والترمذي(١).

الخامس :أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقا سواء كان له كنية أم لا، وجاء منه حديث عن الرسول ﷺ " تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم " وكتب عمر ﷺ إلى الكوفة: لا تسموا أحدا باسم نبي، وأمر جماعة بالمدينة بتغير أسماء أبنائهم محمدا حتى سمعوا الإذن في ذلك.

قال القاضي:والأشبه أن فعل عمر ﷺ هذا إعظام لإسم النبي؛ لئلا ينتهك الاسم.

قال القرطبي : ولا حجة لهم في شيء من ذلك أما الحديث فهو غير معروف، وعلى التسليم به فالنهي عن لعن اسم محمد لا عن التسمية بمحمد،وقد وردت أحاديث كثيرة تدل علي الترغيب في التسمية بمحمد كقوله ﷺ " ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان " وقوله " وما اجتمع قوم علي شئ وفيهم رجل اسمه محمد فلم يدخلوه فيها إلا لم يبارك لهم فيها "

أما ما روي عن عمر ﷺ فسببه ما ذكر من قضية ابن أخيه.

قال الآبي :أهل مكة يتحدثون ما من بيت فيه اسم محمد إلا رأوا خيرا ورزقوه.

(١) منحة الباري كتاب العلم باب إثم من كذب علي النبي ﷺ رقم ١١ جـ١ ص ٣٣٤ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأدب باب النهي عن التكني بأبي القاسم رقم ٢١٣١. التاج ج ٥ ص ٢٧٢ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في قصيدته النظم المقبول لأسماء الرسول ﷺ:

ويا شهيد مرسل الملاحم — ويا أبا الطاهر ثم القاسم
أنت أبو ابْراهيم ثم الطيب — مصحح الحسنات عز العرب
مفتاح رحمة ربه مجاب — مفتاح جنةٍ بها الثواب
ويا إمام المتقين ذا الفرج — اسأل لنا تقوى الإله والفرج
ونرتجي من ربنا السلامِ — سلامة لأمة الإسلام

٢٠٨- الغول ونصيحتها لأبي أيوب الأنصاري

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ- أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ(١) فِيهَا تَمْرٌ فَكَانَتْ تَجِيءُ الْغُولُ(٢) فَتَأْخُذُ(٣) مِنْهُ. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَاذْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَأَخَذَهَا فَحَلَفَتْ أَنْ لا تَعُودَ، فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قَالَ حَلَفَتْ أَنْ لا تَعُودَ، فَقَالَ: كَذَبَتْ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ(٤). قَالَ: فَأَخَذَهَا مَرَّةً أُخْرَى، فَحَلَفَتْ أَنْ لا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قَالَ حَلَفَتْ أَنْ لا تَعُودَ. فَقَالَ: كَذَبَتْ، وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ، فَأَخَذَهَا فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِكِ حَتَّى أَذْهَبَ بِكِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا- آيَةَ الْكُرْسِيِّ- اقْرَأْهَا فِي بَيْتِكَ فَلا يَقْرَبْكَ شَيْطَانٌ(٥) وَلا غَيْرُهُ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى

---

(١) السهوة: بيت صغير محفور في الأرض، أو طاق توضع فيه الأشياء .

(٢) الغول:نوع من الجن والشياطين تغول الناس أي تفسد عقولهم وأموالهم ،وعلم من هذا أنها كانت تأتيه في صورة مسكين لم يعلم حقيقتها، بينه حديث أبي هريرة، أو تدري من تكلم في هذه الليالي ؟ هو الشيطان .

(٣) قال ابن العربي :لو ذكر الله عليها لما أخذت منها حبه .

(٤) أي كاذبة وستعود وهذا من معجزات النبي ﷺ وآياته في إخباره عن الشيء المستقبل فيكون كما أخبر .

(٥) فيه بيان لفضل آية الكرسي، وأنها إذا قرئت بإخلاص في بيت صباحا حفظ من الشيطان طول اليوم، وإن قرئت مساء حفظ في تلك الليلة، نسأل الله تمام الإخلاص.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ قَالَ: صَدَقَتْ، وَهِـيَ كَذُوبٌ[(١)].

رواه الترمذي والبخاري[(٢)].

---

(١) قوله : "صدقت وهي كذوب" فيه إشارة إلى أن الكاذب قد يصدق، ولكن لما علم كذبه لم يجز صدقه لغلبة الباطل على كلامه أو عمومه له، قال ابن العربي :وقد قدم أن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان، وأخبر في هذا الحديث أن البيت الذي تقرأ فيه آية الكرسي لا يدخله شيطان ويحتمل ثلاثة أوجه:

الأول :أن يكون المراد بقوله إن قراءة البقرة تكف الشيطان إشارة إلى آية فيها، وسترها في جملتها حتى يقرأ جميعها كما فعل في ساعة الجمعة وليلة القدر، ثم أخبر بها معينة كما أخبر بساعة الجمعة معينة.

الثاني :أن يكون من اقتصر علي آية الكرسي عصم من الشيطان ومن قرأ السورة كلها عصم من الشيطان وأحدهما أكثر ثوابا من الآخر.

الثالث :أن تكون مدة عصمة البيت من الشيطان بسورة البقرة أكثر مدة منه بآية الكرسي .

(٢) عارضة الأحوذي كتاب فضائل القرآن رقم ٢٨٨٠ جـ ١١ ص ٩ منحة الباري كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا رقم ٢٣١١ جـ ٥ ص ٧٣ ، ٧٤ التاج جـ ٤ ص ١٨ .

٢٠٩- الميت الذي يقرأ تبارك في قبره

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهما قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خباءَهُ[١] عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لا يَعلم فَإِذَا فِيه إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذي بِيَده الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ، وَأَنَا لا أَحْسبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيه إِنْسَانٌ يَقْرَأُ تَبَارَكَ حَتَّى خَتَمَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنَجِّيَةُ[٢]. تُنَجِّيه مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[٣]. رواه الترمذي[٤].

---

(١) الخباء:وهو الخيمة من صوف أو وبر أو شعر علي عمود أو اثنين أو ثلاثة فإن زاد فهو بيت.

(٢) هي المنجية:أي التي تمنع الشر عن تاليها، وتنجيه من عذاب القبر، قال صاحب التاج: وإذا جازت قراءة القرآن ممن في قبره فأولي من الحي علي القبر لأن الحي أفضلُ من الميت .

(٣) **قال ابن العربي من فوائد الحديث :**

١- إن سماع أهل الدنيا أقوال أهل الآخرة وإدراكهم لأحوالها ،وسماع أهل الآخرة لأقوال أهل الدنيا وإدراكهم لأحوالها ليس علي العموم؛ لان الموت يقطع هذه الوصلة ويحسم هذه الوسيلة، بيد أن الله يطلع من شاء ومتى شاء كلّ طائفة علي حال الأخرى، وفي ذلك آثار مروية، فالميت إذا انقلب عنه أهله سمع خفق نعالهم علي قبره، وهذا نص قوله ﷺ وأما سماع أهل الدنيا لأقوال أهل الآخرة وإطلاعهم عليهم فذلك نادر من سماع هذا الرجل لقراءة تبارك الذي بيده الملك في القبر.

٢- كانت الحكمة في سماعها إطلاع الله رسوله علي فضلها ليبلغ ذلك إلينا ترغيبا في قراءتها وتحصيلا لأجرنا فيها .

(٤) تحفة الأحوذي كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك رقم ٢٨٩٠ جـ١١ ص ١٦، ١٧.

ويقول شيخنا الخطيب ؓ في ديوانه مجامع الأنوار:

وتلا الدفينُ بقبره الْمُلك الــتي	من يستدمها ينج مــن لأواه

٢١٠- القراءات السبع

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ(١). فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ فَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ فَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ فَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا(٢).

رواه مسلم(٣) وأبو داود والترمذي ولفظه يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْغُلامُ وَالْجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ

---

(١) الأضاة: غدير الماء .

(٢) الحرف هو اللغة أو القراءة، والمعنى أن من قرأ على وجه من وجوه اللغات أو القراءات السبع المتواترة فقد أصاب الحق النازل من عند الله تعالى. قال ابن شهاب: بلغني أن تلك الأحرف السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحد لا يختلف في حلال أو حرام، أي أن تلك القراءات تكون أحياناً في آية واحدة وفي كلمة واحدة ولكن لا يتغير معناها من حلال أو حرام وعكسه، ذكره صاحب التاج .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين باب في أن القرآن على سبعة أحرف رقم ٨٢١ ، العرف الشذيُّ شرح سنن الترمذي كتاب القراءات باب ما جاء في أنزل القرآن علي سبعة أحرف رقم ٢٩٤٤ جـ٤ ص ٢١٩، التاج جـ٤ ص ٣١.

كِتَابًا قَطُّ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[١].

(١) قال العلماء :سبب إنزاله عليها التخفيف والتسهيل على الأمة لذا قال هون علي أمتي في طريق آخر.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضات الخطيب في قصيدة عيد الأعياد عن القرآن الكريم :

استحفظَ الأحبارَ سائرَ كتبه وهو الحفيظ لمنْزَلٍ بالضاد
فلذا تبدل غيرُه - وخلوده حق برغم معاند ومعاد
المعجزات على تكاثرها انتهت وهو الذي يبقى على الآباد
سحر الأنام جلاله وجماله وحديثه عن مبدأ ومعاد
ألقى مقلِّدُهُ وباء بعجزه لجلالة الفرقان بالمقلاد
ولو استعان الإنس جنا وابتغَوْا مثلاً له رجعوا بغير مراد
كرم الكريمُ مفاصلاً ومَواصلاً وطريقةً وخواتما ومبادي[١]
لو شمت في عقد البلاغة آيةً منه لقلتَ : يتيمةٌ بقلاد [٢]

(١) الكريم: القرآن . والمفاصل والمواصل: ما في الجمل من توسيط العاطف وتركه. والطريقة : الأسلوب. والخواتم : النهايات . والمبادئ: الفواتح. والمعنى أن الله سبحانه وتعالى عظم القرآن ونزهه جملةً وتفصيلاً.

(٢) شمت : نظرت واليتيمة : الدرة معدومة النظير .

والقلاد: جمع قلادة وهي ما يوضع في العنق .

٢١١- القراءات السبع أيضاً

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِد فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْه، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَة صَاحِبه، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْه ودَخَلَ هَذَا فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَة صَاحِبه، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا فَسُقطَ فِي نَفْسِي منَ التَّكْذيب[١] وَلا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهليَّة[٢]. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي[٣] فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا. فَقَالَ لِي: يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى

---

(١) فسقط في نفسي من التكذيب:يعني خطرت نزعة من الشيطان و لم تستقر- وقد عُلم أن إيمان الصحابة أقوي من إيمان مَن بعدهم - قال القرطبي:هي نزعة نزعها ليشوش عليه حاله،وإلا فأي حالة أو تكذيب في اختلاف القراءات .

(٢) معناه: ووسوس لي الشيطان تكذيباً للنبوة أشد مما كنت عليه؛ لأنه كان في الجاهلية غافلاً أو متشككاً فوسوس له الشيطان بالتكذيب لتصويبه ﷺ قراءة الرجلين .

(٣) أي ضربه ﷺ في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم ،وعقب الضرب انشرح صدره حتي آل الشرح إلي المعاينة. ولما علم قبح الخاطر خاف وسال جسمه عرقاً استحياء منه. قال الطيبي: كان أبي ﷺ من أفضل الصحابة رضي الله عنهم ومن الموقنين،وإنما طرأ عليه ذلك التلويث بسبب الاختلاف؛ نزعة من الشيطان،فلما أصابته ضربه النبي ﷺ بيده المباركة علي صدره ذهبت تلك الهاجسة، فرجع إلي اليقين فنظر إلي الله تعالى خوفا وخجلا مما غشيه الشيطان.

حَرْف، فَرَدَدْتُ إِلَيْه أَنْ هَوِّنْ[(١)] عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْه أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ[(٢)] اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّة رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ[(٣)] تَسْأَلُنيهَا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

رواه مسلم[(٤)].

---

(١) قوله : " فرددت إليه أن هون " أن مفسرة لأن رددت في معني القول أي فرجعت إليه القول أن هون على أمتي أي سهل عليها .

(٢) قوله : فرد إلي الثالثة اقرأه علي سبعة أحرف: قال النووي : هل يَشْكُل لأنه في الطريق الثاني من الحديث إنما أمره أن يقرأ علي سبعة أحرف في الرجعة الرابعة؟ ويجمع بين الطريقين بأن كَنَّى بالثالثة هنا عن الأخيرة مجازا، والأخيرة هي الرابعة أو يكون أُسقط من هذا الطريق بعض المرات.

(٣) مسألة :أي إجابة. قال الآبي في قوله "لكل نبي دعوة" معناه : أن تلك الدعوة محققة الإجابة وأن غيرها علي الرجاء، وأن كونها محققة الإجابة لا يمنع من قبول غيرها،ومن قبول غيرها هذا الحديث؛ لأنه لو لم تكن الأولي والثانية هنا مقبولتين لم يكن لقوله "لك بكل ردة مسألة" فائدة لأن الدعوات ثلاث فيتعين أن يكون متعلق الثانية غير متعلق الأولي؛ لأنه لو اتحد متعلقهما كانت دعوة واحدة فلم تكن الدعوات ثلاث، فمتعلق الأولي الدعاء لمن وجد من الأمة، ومتعلق الثانية من سيوجد، وقيل الأولي للمفرطين في الطاعة، والثانية للمفرطين في المعصية، والثالثة للجميع .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين باب في أن القرآن علي سبعة أحرف رقم ٨٢٠.

٢١٢- جمع القرآن في عهد الشيخين رضي الله عنهما

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ[١] فَإِذا عُمَرُ بنُ الخطاب فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَد استَحَرَّ[٢] يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القرآن وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ[٣] فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأمرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. فَقُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تفعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤]؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّه خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِيه حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لا

---

(١) مقتل أهل اليمامة: أي عقب قتل أهل اليمامة، والمراد بأهل اليمامة من قتل بها من الصحابة في الوقعة مع مسيلمة الكذاب. قال ابن حجر: وكان من شأنها أن مسيلمة ادعي النبوة، وقوي أمره بعد موت النبي ﷺ بارتداد كثير من العرب، فجهز إليه أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة، فحاربه أشد المحاربة إلى أن خذله الله، وقتله، وقتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قيل سبعمائة، وقيل أكثر.

(٢) استحر:اشتد وكثر.

(٣) بالقراء في المواطن أي: في المواطن أي الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار .

(٤) قال الخطابي :يحتمل أن يكون ﷺ إنما لم يجمع القرآن في المصحف كما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه،أو تلاوته فلما انقضي نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءً لوعد الصادق بضمان حفظه علي هذه الأمة المحمدية زادها الله شرفا، فكان ابتداء ذلك علي يد الصديق ﷺ بمشورة عمر.

يَتكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ، وقد كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١]، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللَّه لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ[٢] قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلون شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّه خَيْرٌ. فَلَمْ يزَلْ أبو بكر يراجعني حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ[٣] واللِّخَافِ[٤] وَصُدُورِ الرِّجَالِ[٥] حَتَّى وَجَدْتُ آخر سُورَةِ التَّوْبَةِ

---

(١) ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك : كونه شابا فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلا فيكون أوعي له، وكونه لا يتهم فتَرْكَنُ النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي، فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصفات التي اجتمعت له فلا توجد في غيره، لكن مفرقة.

(٢) قال زيد بن ثابت ذلك، لما خشيه من التقصير في إحصاء ما أمر بجمعه، لكن الله تعالي يسره له كما قال تعالي ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر/ ٢٢ .

(٣) العسب:جمع عسيب، وهو: جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص، ويكتبون في الطرف العريض، وقيل العسيب: طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص، والذي ينبت عليه الخوص هو السعف.

(٤) اللخاف:جمع لخفة، وهي: الحجارة الرقاق، قال الخطابي:صفائح الحجارة الرقاق، قال الأصمعي : فيها عرض ودقة.

(٥) وصدور الرجال:أي حيث لا أجد ذلك مكتوبا، أو الواو بمعني مع، أي: أكتبه مع المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدر.

آيَتَيْنِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ[١] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ[٢] حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حياته، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ﷺ[٣] رواه البخاري[٤].

---

(١) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. لم أجدها مع أحد غيره: أي مكتوبة، لما تقدم من أنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبي ﷺ، وإنما كان زيد يطلب التثبت عمن تلقاها بغير واسطة. ولعلهم لما وجدها زيد عند أبي خزيمة تذكروها كما تذكرها زيد. وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار، والوقوف عندما كتب بين يدي النبي ﷺ.

(٢) أي بعد عمر في خلافة عثمان إلى أن شرع عثمان في كتابة المصحف، وإنما كان ذلك عند حفصة؛ لأنها كانت وصية عمر، فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك.

(٣) أي فكانت الصحف التي جمعها زيد بن ثابت.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن رقم ٤٩٨٦ جـ٩ ص١٤ دار الحديث.

٢١٣- جَمْعُهُ في عهد عثمان ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ[١] وَأَذْرَبِيجَانَ[٢] مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ[٣] فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ[٤]، ثُمَّ نَرُدُّهَا

---

(١) أرمينية: مدينة عظيمة قال ابن السمعاني: هي من جهة بلاد الروم يضرب بحسنها وطيب هوائها وكثرة مائها وشجرها المثل، وقيل أنها من بناء أرمين من ولد يافث بن نوح.

(٢) أذربيجان: بسكون الذال وفتح الراء بلد كبير من نواحي جبال العراق، وهى الآن تبريز وقصباتها، وهى تلي أرمينية من جهة غربيها، واتفق غزوهما في سنة واحدة.

(٣) في رواية يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه "فيتنازعون في القرآن حتى سمع حذيفة من اختلافهم ماذعره". وفى رواية يونس "فتذاكروا القرآن فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة". وفى رواية عمار بن غزية: أن حذيفة قدم من غزوة فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان، فقال يا أمير المؤمنين أدرك الناس قال وما ذاك؟ قال غزوت فرج أرمينية، فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفر بعضهم بعضا.

(٤) قال ابن حجر: والفرق بين الصحف والمصحف أن الصحف: الأوراق المجردة التي جمع بها القرآن في عهد أبي بكر، وكانت سورا مفرقة كل سورة مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفا.

إِلَيْك، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابت، وَعَبْدَ اللَّه بْنَ الزُّبَيْر، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاص، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِث بْـنِ هشَـامٍ فَنَسَـخُوهَا فِـي الْمَصَاحف، وَقَالَ عُثْمَانُ للرَّهْط الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَة[1]: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابت فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآن فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْش، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُـوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِف رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَـةَ[2] وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا[3] وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِـي

---

(١) يعني هم سعيد بن العاص،وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بـن الحـارث لأن سعيدا أموي وعبد الله أسدي وعبد الرحمن مخزومي وكلها من بطون قريش .

(٢) وعن ابن حجاب: قال أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر قال: "كـان مـروان مرسل إلى حفصة يعني حيث كان أمير المدينة من جهة معاوية يسألها الصحف التي كتب منها القرآن فتأبى أن تعطيه". قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنـا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه تلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فَشُقِّقَتْ، وقال : إنمـا فعلـت ذلك لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شـأن هـذه الصـحف مرتاب.

(٣) اختلفوا في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة، واخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المصاحف من طريق حمزة الزيات، قال: أرسـل عثمان أربعة مصاحف، وبعث منها إلى الكوفة بمصحف، فوقع عند رجل مـن مراد فبقي حتى كتبت مصحفي عليه.

وقال ابن داود سمعت أبا حاتم يقول: كتبت سبعة مصاحف إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا .

كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ[١]. وقَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِت فَقَدْتُ آيَةً مِنَ الأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ.

رواهما البخاري والترمذي[٢]. وزاد: فَاخْتَلَفُوا في التابوتِ والتابوه، فقال القرشيون بالأول، وقال زيدٌ بالثاني فَرَفَعُوا اختلافهم إلى عثمانَ فقال: اكتبوه بالتابوتِ فإنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ[٣].

---

(١) قال ابن بطال : في هذا الحديث جواز تحريق الكتب التي فيها اسم الله بالنار، وإن ذلك إكرام لها، وصون عن وطئها بالأقدام.

(٢) فتح الباري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن رقم ٤٩٨٧ ، ٤٩٨٨ جـ ٩ ص ٢٠ ، ٢٦.

(٣) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٣٥.

٢١٤- الفاتحة بين الرب والعبد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ[١] وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي[٢]، وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ) قَالَ

---

(١) قوله تعالى"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين" قال الخطابي: قد تسمى القراءة صلاة لوقوعها في الصلاة، ولكونها جزءا منها، كما قال تعالى ﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا ﴾ ١١٠ الإسراء. قال في شرح السنة : وحقيقة هذه القسمة منصرفة إلى المعني لا إلى متلو اللفظ، وذلك أن السورة من جهة المعني نصفها ثناء، ونصفها مسألة ودعاء، وقسم الثناء ينتهي إلى قوله تعالى ﴿إياك نعبد﴾ وباقي الآية، وهو قوله ﴿إياك نستعين﴾ من قسم الدعاء والمسألة، ولهذا قال تعالى في هذه الآية بيني وبين عبدي. ولذا قال صاحب التاج: المراد بالنصف مطلق الشطر.

قال الخطابي : والفاتحة سبع آيات ثلاث منها ثناء من قوله "الحمد لله رب العالمين" إلى " يوم الدين " ، وثلاث منها دعاء، ومسألة من قوله " اهدنا الصراط المستقيم" إلي آخرها، والآية نصفها ثناء وهو قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ ونصفها دعاء وهو قوله ﴿ إياك نستعين ﴾ ولهذا قال تعالى "هذا بيني وبين عبدي". أ هـ من كشف المناهج والتناقيح .

(٢) أي ذكرني بكلمات التمجيد والتعظيم .

هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ (١).

رواه الجميع إلا البخاري(٢).

عن عديٍّ بن حاتمٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: " المغضوبِ عليهِمْ : اليهــودُ، والضَّالِّينَ: النَّصارى" (٣).

رواه أحمد وابن حبان والترمذي (٤).

---

(١) أي له ما طلب من وجوه الخير وفي هذا بشارة عظيمة لقبول الدعاء بما فيه منفعة العبد.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة رقم ٣٩٥ ، سنن الترمــذي رقــم ٢٩٥٣ ، سنن أبي داود رقم ٨٢١ ، سنن النسائي جـــ٢ ص ١٣٦ . سنن ابن ماجة رقم ٣٧٨٤ .

(٣) المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَــبٍ عَلَــى غَضَــبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ، والضالين: النصارى ؛ لأنهم مالوا عن الحق وقــالوا بالتثليث .

(٤) التاج الجامع للأصول جـــ٤ ص ٣٧.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكم شاعر النبي ﷺ :

وليس كتاب الله إلاّ رســائلا — إليــك فرتلــها بجــم التــدبر

وقُومَنْ بها حق القيام وأدّيَــنْ — أوامرها ما اسطعت والنهي فاحذر

وعذراً إذا قارفت منهيــةً وإن — توفق إلى طاعاتــه جــل فاشــكر

٢١٥- آدم وربُّه جل شأنه والملائكة

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللّه عَنْه عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ ستُّونَ ذرَاعًا(١) ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئكَ منَ الْمَلائكَة فَاسْتَمعْ مَا يُحَيُّونَكَ، وهي تَحيَّتُكَ وَتَحيَّةُ ذُرِّيَّتكَ. فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّه فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللّه، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَة(٢) آدَمَ. فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ(٣).

رواه الشيخان والترمذي ولفظه (٤):

---

(١) المراد بالذراع هو الذراع المتعارف عليه عند المخاطبين وليس بطول ذراع آدم نفسه .

والذراع في الإنسان من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى ، ومقياس أشهر أنواعه هو الذراع الهاشمية وطولها ٦٤ سنتيمتر (المعجم الوجيز) وعليه يكون طول آدم عليه السلام ٦٠ × ٦٤سم ٣٨,٤٠متراً.

(٢) فكل من يدخل الجنة على صورة آدم أي على صفته، وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره تنتفي عند دخول الجنة.

(٣) أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهي تناقص الطول إلى هذه الأمة، واستقر الأمر على ذلك، وقال ابن التين: قوله " فلم يزل الخلق ينقص " أي: كما يزيد الشخص شيئا فشيئا، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين، حتى إذا كثرت الأيام تبين، فكذلك هذا الحكم في النقص.

(٤) فتح الباري كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته حديث رقم ٣٣٢٦ جـ٩ ص ٤٤٣.

لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلائكَة فَقُلِ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ. قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّه، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّه. فَقَالَ: إِنَّ هَذه تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي -وَكِلْتَا يديه يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ - ثُمَّ بَسَطَهَا، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَا هَؤُلاءِ ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ ذُرِّيَّتُكَ فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْه[١].

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ؛ فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ[٢] وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ[٣]. رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح[٤].

---

(١) قال صاحب التاج: أي فلما بسط الله يمينه ظهرت صورة آدم وبنيه وعُمْرُ كُلٍّ منهم مسطور بين عينيه.

(٢) السهل : الذي فيه رفق ولين، والْحَزْنُ : الذي فيه عنف وغلظ.

(٣) قوله السهل والحزن والخبيث والطيب : أي في الطباع، فالله أمر بعض الملائكة أن تأتيه بقطعة من الأرض من كل طباعها وألوانها، ففعل كما أمره الله ،قيل: إن هذا هو عزرائيل عليه السلام فلذا اختصه الله بقبض الأرواح، ثم أمر بالطينة فعجنت بأنواع المياه كحلو وحامض ومر، فجاء بنو آدم مختلفي الألوان والطباع كأنواع المياه، و كألوان الأرض وطباعها فسبحان الخلاق العليم.

(٤) سنن أبي داود رقم ٢٦٤٢ ،سنن الترمذي رقم ٢٩٥٥ المستدرك جـ٢ ص ٢٦١ ، التاج الجامع للأصول جـ٤ ص ٣٩

٢١٦- ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

عَنْ أَسْلَمَ أَبي عِمْرَانَ التَّجِيبِيِّ قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ(١)، فبرز لنا صَفٌّ عَظِيمٌ مِنهمْ، وخَرَجَ لهم مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ(٢)!! فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ(٣)، وَإِنَّمَا نزلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؛ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الإِسْلامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا قولَنَا ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآيَة(٤) فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ: الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاحِهَا، وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ- فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى استشهد وَدُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ(٥).

رواه أصحاب السنن بسند صحيح(٦).

---

(١) أي نغزوهم.

(٢) التهلكة والهلاك بمعنى .

(٣) وفي فتح الباري عن مدرك بن عوف قال: إني لعندَ عمر، فقلت إن لي جاراً رمى بنفسه في الحرب فقتل، فقال ناس: ألقى بنفسه إلى التهلكة، فقال عمر: كذبوا لكن اشترى الدنيا بالآخرة .

(٤) ﴿ أنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ١٩٥ سورة البقرة.

(٥) أي فما زالت نفسه تتوق للجهاد وتصبو روحه للقاء الله شهيداً حتى فاضت روحه هناك.
وفي الحديث الشريف تحذير من ترك الجهاد والنفقة في سبيل الله، وبيان أهمية الرجوع إلى المأثور في التفسير .

(٦) فتح الباري كتاب التفسير ج ٨ ص ٣٣، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٥٧.

٢١٧- أقوى الخلق

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ[١] فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فَعَجِبَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمِ الْحَدِيدُ. قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمِ النَّارُ[٢] قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمِ الْمَاءُ[٣] قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمِ الرِّيحُ[٤]. قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمِ ابْنُ آدَمَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا عَنْ شِمَالِهِ[٥]. رواه الترمذي[٦].

---

(١) تميد: أي تتحرك، فخلق الجبال فعاد بها عليها، أي أمر بوضعها على الأرض، فاستقرت، فقالت الملائكة : يا رب هل في خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال الحديد، أي لأنه يقطع الحجر.

(٢) أي لأنها تؤثر في الحديد وتذيبه .

(٣) لأنه يطفئ النار ويميتها.

(٤) لأنه ينشف الماء.

(٥) فالمتصدق الذي يخفي صدقته أشد وأقوي عزيمة من كل شيء وصدقته في دفع البلاء عنه، وسرعة قبولها عند الله أقوي من كل شيء، وروي أن الله تعالي ليضحك لعبده إذا مد يده بالصدقة، رضًا بما صنع.

(٦) قال المناوي: رواه الترمذي في آخر التفسير قبل كتاب الدعاء من حديث سلمان بن أبي سليمان عن أنس يرفعه وقال غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه سنن الترمذي كتاب التفسير رقم ٣٣٦٩، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٧٠.

٢١٨- تمنى الشهداء الحياة ليقتلوا في سبيل الله

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُسْتُشْهِدَ أَبِي، يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا[١] قَالَ: أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا اللهُ أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا[٢] فَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ[٣] أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّي تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ[٤] قَالَ وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾. رواه الترمذي[٥].

---

(١) ترك ﷺ عدة بنات، وترك دينا قدره ثمانين وسقا.

(٢) كفاحا: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

(٣) تمن علي:أي اطلب أي شيء أعطك.

(٤) قال يا رب تحييني فأقتل : أي ترجعني إلى الدنيا، فأجاهد في سبيلك، فأقتل مرة أخري، قال تعالي : " قضت حكمتي أن أهل الدنيا إذا ماتوا لا يرجعون إليها ".

(٥) قال المناوي : رواه الترمذي في التفسير في سورة آل عمران من حديث جابر بن عبد الله وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وقال: لا نعرفه إلا من حديث موسي بن إبراهيم بن كثير أنه سمع طلحة بن خراشي يقول سمعت جابر بن عبد الله قال، ورواه علي بن عبد الله بن المديني، وغيرُ واحدٍ من كبار أهل الحديث عن موسي بن ابرهيم أ هـ كلام الترمذي، وموسي بن إبراهيم بن كثير روى له الترمذي وابن ماجة ، قال الذهبي:وثق، وأما طلحة بن خراشي فروى له الترمذي وابن ماجة وقال فيه النسائي: صالح . ينظر : سنن الترمذي رقم ٣٠١٠، كشف المناهج والتناقيح جـ٥ ص ٣٤٥ ، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٨٧.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فَقَالَ: إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَأُخْبِرْنَا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلاعَةً(١) فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدَكُمْ قَالُوا: رَبَّنَا وَمَا نَسْتَزِيدُ وَنَحْنُ فِي الْجَنَّةِ نَسْرَحُ حَيْثُ شِئْنَا ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَيْهِمُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدَكُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يُتْرَكُوا قَالُوا: تُعِيدُ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَامِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَنُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: وَتُقْرِئُ نَبِيَّنَا منا السَّلامَ وَتُخْبِرُهُ عَنَّا أَنَّا قَدْ رَضِينَا وَرُضِيَ عَنَّا .

رواه الترمذي(٢).

---

(١) فاطلع إليهم ربك إطلاعة، قال صاحب التاج :أي كشف الحجب عنهم وأمرهم أن يطلبوا ما يشتهون فقالوا: يا رب ماذا نطلب ونحن نتمتع بكل شيء في الجنة، فأعاد عليهم مرة ثانية، فلما رأوا أنهم لن يتركوا حتى يطلبوا شيئا، قالوا: يا رب إن كان لنا طلب فأرجعنا إلى الدنيا، لنقتل في سبيلك فقال "لا رجعة لها" قالوا: تبلغ عنا نبينا السلام وتخبره بما نحن فيه ،فأنزل الله تعالى ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران / ١٦٩: ١٧١.

(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٣٠١١، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٨٧.

٢١٩- الطعام المسروق والسلاح

عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ قَالَ: سُرِقَ طعامٌ وسلاحٌ[١] لعَمِّي رِفَاعةَ بْنِ زَيْدٍ فَأَخْبَرَنِي بذلك[٢] فسألنا وتحسَّسْنَا في الدار[٣] ، فقيل لَنَا إِنَّهُمْ بَنُو أُبَيْرِقٍ وَهُمْ: بشيرٌ وبِشْرٌ وَمُبَشِّرٌ[٤] وَكَانَ بَشيرٌ مُنَافِقًا يَهْجُو أَصْحَابَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) المسروق سلاح ودرع وسيف وطعام كان دَرْمَكاً ـ(حُوَّارَى وهو الأبيض الجيد من الحنطة) وكان طعام أهل اليسار بخلاف عامة الناس فكان طعامهم التمر والشعير. وفي رواية : فقدمَتْ ضَافطَةُ المُكَارِين (مجموعة كبيرة من المكارمين والمكارى : مُكْرِي الدواب ويغلب على الحمَّار والبغَّال وجمعها مُكَارون) الذين ينقلون التجارة من بلد إلى بلد. قدمت من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدَّرْمك فجعله في مشربة له ، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فَنُقبت المشربة وأُخذ الطعام والسلاح . والمشرُبة بضم الراء وفتحها: هي الغرفة . وفي الحديث أن النبي ﷺ كان في مشربة له أي في غرفة وجمعها مشارب ومشرَبَات.

(٢) قال قتادة : فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: ياابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذُهب بطعامنا وسلاحنا.

(٣) وفي رواية : فتحسسنا الدار فقيل لنا رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا بعض طعامكم . (تفسير ابن كثير) .

(٤) وفي رواية : وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل – رجل منا له صلاح وإسلام – فلما سمع لبيد اخترط سيفه (أي سله من غمده) وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة . قالوا: إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها. فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها . (تفسير ابن كثير) .

وَسَلَّمَ بالشِّعْرِ وينْسُبُهُ لِغَيْرِهِ[١]، وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ[٢] فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلامِ.

فَأَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَخْبَرْتُهُ والْتَمَسْتُ منهُ رَدَّ السِّلاحِ فَقَطْ[٣]، فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَآمُرُ فِي ذَلِكَ[٤]، فَسَمِعَ بَنُو أُبَيْرِقٍ بِهَذَا فَأَوْفَدُوا للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَيْدَ بْنَ عُرْوَةَ فقالَ: يا رسولَ الله بنو أبيرق مِنَّا أَهْلُ صَلاحٍ وإِسْلامٍ يُرْمَونَ بالسَّرِقَةِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ[٥]. قَالَ قَتَادَةُ: فَكَلَّمْتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثانياً فَقَالَ: رَمَيْتَ بالسَّرِقَةِ أَهْلَ بَيْتٍ فِيهِمْ إِسْلامٌ وَصَلاحٌ من غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلا ثَبْتٍ[٦]. قَالَ: فَرَجَعْتُ وتَمَنَّيْتُ أَنِّي خَرَجْتُ

---

(١) وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله لبعض العرب يقول: قال فلان كذا وكذا، وقال فلان كذا وكذا . فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث. وقالوا: ابن أبيرق قالها.

(٢) الفاقة: الفقر .

(٣) قال قتادة: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء ، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد، فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. (تفسير ابن كثير)

(٤) أي سأنظر في الأمر .

(٥) وفي رواية : فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسيد بن عروة فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. (تفسير ابن كثير)

(٦) ثبت: كسبب. وهو الحجة. ورجل ثبتٌ إذا كان عدلاً ضابطاً. (المصباح المنير-ثبت).

مِنْ بَعْضِ مَالِي(١) وَلَمْ أُكَلِّمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَجاءنِي عَمِّي(٢) فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) بَنِي أُبَيْرِقٍ (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ) أَيْ مِمَّا قُلْتَ لِقَتَادَةَ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً* هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ(٣) فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً)(٤). فَلَمَّا نَزَلَت هذه الآيات أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّلَاحِ(٥). قَالَ قَتَادَةُ: وَكُنْتُ أَشُكُّ فِي إِسْلامِ عمي رِفَاعَةَ لأَنَّهُ كانَ شَيْخاً قَدْ عَصَى(٦) فِي الجاهلية، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ بِالسِّلاحِ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَعَرَفْتُ أَنَّ إِسْلامَهُ كَانَ صَحِيحًا. فَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَاتُ لَحِقَ بَشِيرٌ بِالْمُشْرِكِينَ فَنَزَلَ عَلَى سُلافَةَ بِنْت سَعْدِ بْنِ سُمَيَّةَ فَنَزَلَتْ (وَمَن يُشَاقِقِ

---

(١) وفي رواية: ولوددت أن خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك.

(٢) وفي رواية: فأتاني عمي رفاعة فقال: ياابن أخي ما صنعت؟.

(٣) هاأنتم هؤلاء: خطاب لمن دافعوا عنهم عند رسول الله ﷺ وهو أسيد بن عروة .

(٤) سورة النساء الآيات ١٠٥ — ١٠٩ .

(٥) وفي رواية فلما نزل القرآن أُتيَ رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة .

(٦) وفي رواية قال قتادة : لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عمي أو عشي — الشك من أبي عيسى — في الجاهلية وكنت أرى إسلامه مدخولاً.

الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى) الآيتان[1] فرمى حَسَّانُ بْنُ ثَابت سُلافَةَ هـذه بِأَبْيَاتٍ مِنْ الشعْرِ[2] فَأَخذَتْ رَحْلَ بشير عَلَى رَأْسِهَا ورَمَتْ بِهِ فِـي الأَبْطَـحِ[3].

---

(١) ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء ١١٥، ١١٦].

وذكر القرطبي عند تفسير الآيتين: قال العلماء هاتان الآيتان نزلتا بسبب ابن أبيرق السارق لما حكم رسول الله ﷺ بالقطع ، وهرب إلى مكة وارتد. وقال مجاهد: نزل قوله (نوله ما تولى) في أبن أبيرق لما ظهرت حاله وسرقته هرب إلى مكة وارتد ، ونقب حائطاً لرجل بمكة يقال له حجاج بن علاط، فسقط فبقي على حاله في النقب حتى وجد على حاله وأخرجوه من مكة إلى الشام فسرق بعض أموال القافلة فرجموه وقتلوه فنزلت (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً).

(٢) وهذه الأبيات التي قالها حسان بن ثابت ﷺ يُعرِّض فيها بسلافة:

ما سارِقُ الدِرعَينِ إِن كُنتَ ذاكِراً ... بِذي كَرَمٍ مِنَ الرِجالِ أُوادِعُـه
وَقَد أَنزَلَتهُ بِنتُ سَعد فَأَصبَحَت ... يُنازِعُها جِلدَ استِها وَتُنازِعُـه
فَهَلّاَ أَسيداً جِئتَ جارَكَ راغِباً ... إِلَيهِ وَلَم تَعمَدْ لَـهُ فَتُرافِعُـه
ظَنَنتُم بِأَنْ يَخفى الَّذي قَد صَنَعتُمُ ... وَفينا نَبِيٌّ عِندَهُ الحُكمُ واضِعُه
فَلَولا رِجالٌ مِنكُمُ أَن يَسوءَهُم ... هِجَايَ لَقَد حَلَّتْ عَلَيكُم طَوالِعُه
فَإِن تَذكُروا كَعباً إِذا ما نَسيتُمُ ... فَهَل مِن أَديمٍ لَيسَ فيهِ أَكارِعُـه
هُمُ الرَأسُ وَالأَذنابُ فِي الناسِ أَنتُم ... فَلَم تَكُ إِلاّ فِي الرُؤوسِ مَسامِعُه

(٣) الأبطح : هو المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ، وهو البطحاء أيضاً ، ويضاف إلى مكة ومنى وهو واحد ، وهو إلى منى أقرب منه إلى مكة. (قاله ابن عبد البر. (فتح الباري — المقدمة ص ٩٢) .

وقَالَتْ: أَهْدَيْتَ لِي شِعْرَ حَسَّانَ، مَا كُنْتَ تَأْتِينِي بِخَيْرٍ.

رواه الترمذي بسند غريب(١).

---

(١) التاج الجامع للأصول ج ٤ص ٩٩.

ما يؤخذ من الحديث:

- شدة الحالة التي كان عليها غالب أهل المدينة حيث إن أغلب طعامهم الشعير والتمر.
- يجب التثبت والتحري والسؤال عند حدوث مثل هذه الأمور قبل إبلاغ الحاكم.
- الاستدلال ببعض القرائن حيث عرف الناس أن الفاعلين هم بنو أبيرق لما رأوهم استوقدوا - وهم أهل فاقة وحاجة -.
- البهتان الذي جبل عليه بنو أبيرق حيث اتهموا لبيد بن سهل بالسرقة.
- قبح السرقة وما تحدثه من أثر في نفوس الناس .
- فصاحة قتادة بن النعمان ﷺ وحسن عرضه الأمر أمام رسول الله ﷺ حيث قال: (إن أهل بيت منا أهل جفاء...) ولم يذكر من هم . وطلب منه رد السلاح ولم يطلب رد الطعام.
- جواز تنازل صاحب الحق عن بعض ماله المسروق.
- وضوح الصورة التي كان عليها مجتمع المدينة حيث كان يتعصب أهل كل دار إلى ذويهم. وكلمة الدار تعني الحي أو المنطقة تحوي مجموعة من البيوت فيها عدد من الأسر.
- شدة حياء قتادة بن النعمان ﷺ عندما عاتبه رسول الله ﷺ .
- حسن توكل رفاعة بن زيد عندما أخبره ابن أخيه بقول رسول الله ﷺ فقال: الله المستعان. وما في ذلك من الصبر والتوكل وترقب حسن العاقبة .
- سرعة نصرة الله تعالى لرسوله ﷺ وإظهاره الحق له حيث أنزل الآيات التي

تفضح الخائنين.

- الإسلام يَجُبُّ ما قبله ولا يؤثر فيه ما جرى في الجاهلية.
- التصدق في سبيل الله يرفع الله به الدرجات. ويرفع الله به منزلة العبد في قلوب عباده الصالحين.
- قوة تأثير الشعر في ذلك العصر وما فيه من تغيير كثير من الأوضاع.
- خذلان الكافرين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله وأن لهم العذاب المهين في الدنيا والآخرة .

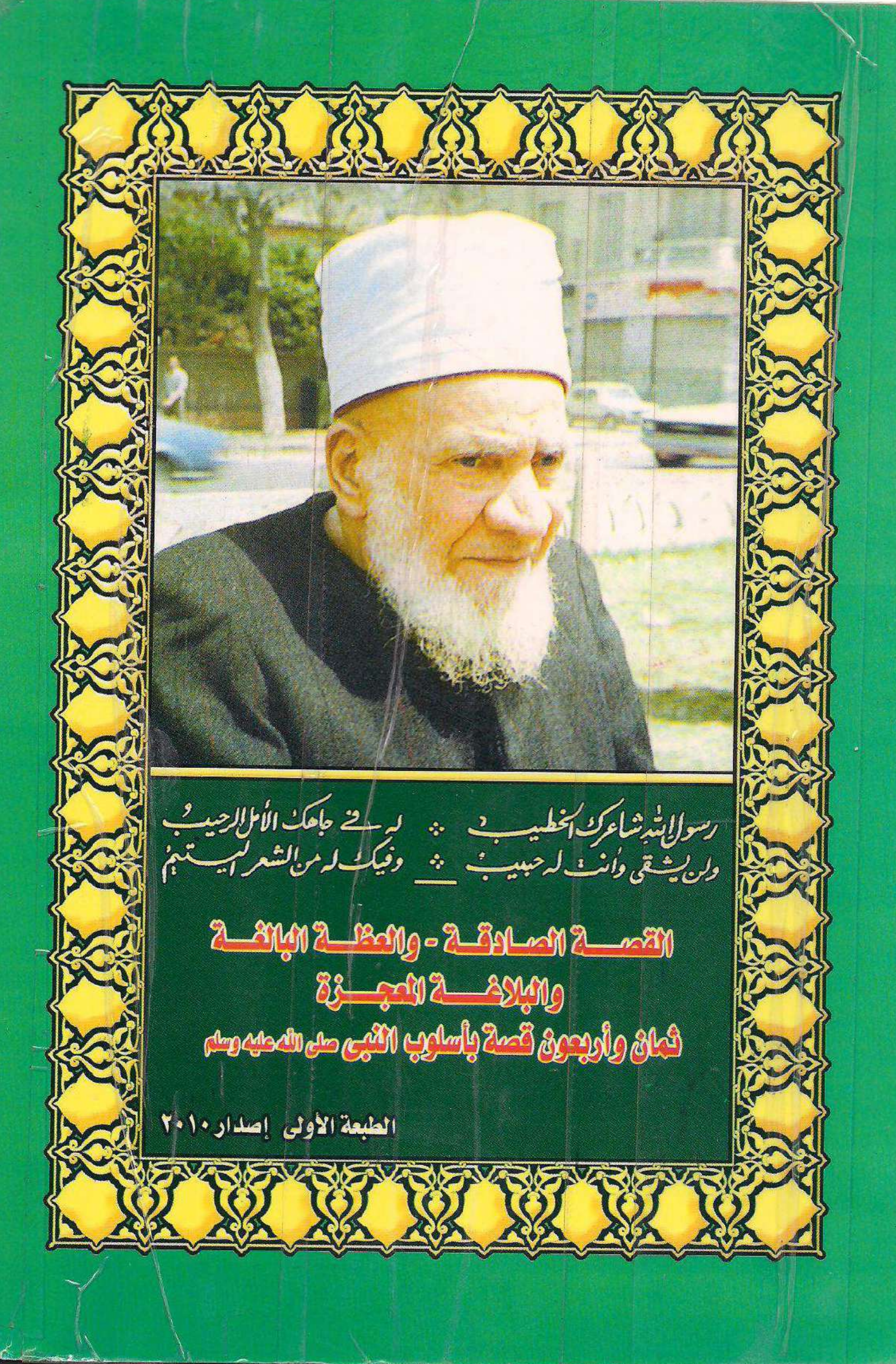
الفهرست

من مؤلفات الإمام الخطيب التى لا يستغنى عنها مسلم

* إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام .
* غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب.
* ألفية الخطيب وشرحها .
* القصص الحق لسيد الخلق (٥ أجزاء) .
* شرح وترتيب حكم ابن عطاء الله .
* نظم حكم ابن عطاء الله .
* التراجم المهمة للأربعة الأئمة .
* حكم الخطيب .
* من أسرار الذكر .
* الوسيلة والتوسل.
* رسالة الجهاد .
* مناسك الحجاج .
* جامع الفتاوى .
* إتحاف الذاكرين .
* مدرسة الشعراء .
* وحى الحديث .
* الشمائل المحمدية .
* لامـيـة الخطيب فى الوعظ والحكم وشرحها .
* ديوان الخطيب (عدة أجزاء) .
* روضات الخطيب .
* رباعيات الخطيب.
* بشرى العاشقين .
* مجامع الأنوار .
* وحى الحديث .
* إتحاف السادات .
* ديوان الإمام على (كرم الله وجه) .
* ديوان الإمام الشافعي وشرحه .
* تشطيـر الخطيب النيـدى للامـيـة ابن الوردى.
* ديوان أبى الفتح البستى وشرحه .
* صورة المجتمع الكبرى .
* بداية التعرف شرح نقاية التصوف .
* تفسير الخطيب للقرآن الكريم .
* شرح أمثال القاسم بن سلام .
* الجنة فى شرح عقيدة أهل الجنة .
* النظم الأسنى شرح أسماء الله الحسنى .
* إتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكار .
* الأحاديث المختارة فى البخارى وشرحها .

(هذه بعض المؤلفات منها ما طبع ومنها ما نسأل الله الكريم أن ييسر نشرها) .

رقم الإيداع : ١٦١٣٨ / ٢٠٠٩م


رسول الله شاعرك الخطيب ❖ له في جاهك الأمل الرحيب
ولن يشقى وأنت له حبيب ❖ وفيك له من الشعر اليتيم
القصة الصادقة - والعظة البالغة
والبلاغة المعجزة
ثمان وأربعون قصة بأسلوب النبى صلى الله عليه وسلم
الطبعة الأولى إصدار ٢٠١٠